مجموعة الرسائل والمسائل

تأليف

شيخ الإسلام ابن تيمية

قدس الله سره





وقف على تصحيحه وخرج أحاديثه وعلق حواشيه

السيد محمد رشيد رضا

منشئ مجلة المنار

الطبعة الاولى في سنة ١٣٤٩ (الثمن ٨)

مطبعة المنار بمصر

الحصول على مجلدات المنار

بغير دراهم

كل من ارسل الى دار المنار ستة جنيهات عن خمسة من المشتركين في الخارج أو عن ستة في الداخل بسعيه يرسل اليه مجلد سنة من المنار الا مجلدي السنتين الثانية والثالثة

الآداب الشرعية

طالما كنت أتمنى العثور على كتاب في الآداب الشرعية ، والاخلاق الدينية حافل الري بالمسائل النفسية واللسانية والاجتماعية والصحية ، حاو للصحيح من الاخبار النبوية ، والآثار السلفية ، خال من البدع والخرافات ، وحكاية غرائب الاسرائيليات ، ومن المجون والخلاعة ، والفحش والرقاعة ، ينتفع بقراءته الرجال والنساء ، ولا تخجل من الاطلاع عليه ذوات الخفر والحياء ، فيكون جامعاً لفوائد العلم الصحيح ، والقدوة بأهل الكمال ، من أهل العلم والصلاح ، مازلت أتمنى هذا وأرقب العثور عليه حتى ظفرت بهذا الكتاب (الآداب الشرعية والمنح المرعية) تصنيف العلامة الفقيه المحدث الواسع الاطلاع الشيخ محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي المتوفى بصالحية دمشق سنة ٨٨٥ فاذا هو الضالة المنشودة ، قد جمع مؤلفه فيه خلاصة مصنفات عديدة ، وزاد عليها زيادات مف[illegible] إلا أنه أطال في المباحث العلمية وما يتعلق بها ومنه أمور الوقاع مما كنا نود [illegible] مستقلا

ويتألف الكتاب من ثلاثة أجزاء ثمن كل جزء خمسة [illegible] مصريا يضاف اليها أجرة البريد والتجليد لمن اراد ويطلب من مكتبة المنار بمصر

حقيقة مذهب الاتحاديين

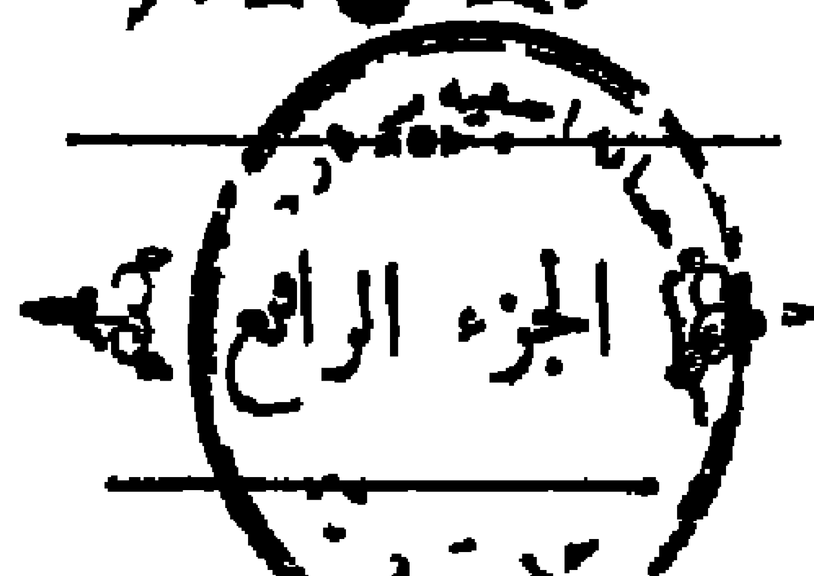
أو وحدة الوجود

﴿ وبيان بطلانه بالبراهين النقلية والعقلية ﴾

من رسائل

شيخ الاسلام ابن تيمية

(قدس الله سره)



الجزء الرابع

أشرف على تصحيحه وعلق عليه حواشيه

السيد محمد رشيد رضا

منشئ مجلة المنار

﴿ الطبعة الاولى في سنة ١٣٤٩ ﴾

مطبعة المنار بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رسالة شيخ الاسلام الى من سأله عن حقيقة مذهب الاتحاديين أى القائلين بوحدة الوجود ﴾

الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * وأشهد أن لا إله إلا الله الاحد الحق المبين، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين ﷺ تسليما كثيراً وعلى سائر اخوانه المرسلين

(أما بعد) فقد وصل كتابك تلتمس فيه بيان حقيقة مذهب هؤلاء الاتحادية وبيان بطلانه، وانك كنت قد سمعت مني بعض البيان لفساد قولهم، وضاق الوقت بك عن استتمام بقية البيان، وأعجلك السفر، حتى رأيت عندكم بعض من ينصر قولهم ممن ينتسب الى الطريقة والحقيقة، وصادف مني كتابك موقعا، ووجد محلا قابلا، وقد كتبت اليك بما ارجو من الله أن ينفع به المؤمنين، ويدفع به بأس هؤلاء الملاحدة المنافقين، الذين يلحدون في أسماء الله وآياته المخلوقات والمنزلات في كتابه المبين، ويبين الفرق بين ما عليه أهل التحقيق واليقين، من اهل العلم والمعرفة المهتدين، وبين ماعليه هؤلاء الزنادقة المتشبهين بالعارفين، كما تشبه بالانبياء من تشبه من المتنبئين، وكما شبهوا بكلام الله ما شبهوه به من الشعر المفتعل وأحاديث المفترين، لتبيين ان هؤلاء من جنس الكفار المنافقين المرتدين، اتباع فرعون والقرامطة الباطنيين، وأصحاب مسيلمة والعنسي ونحوهما من المفترين، وان اهل العلم والايمان من الصديقين والشهداء والصالحين، سواء كانوا من المقربين السابقين او من المقتصدين اصحاب اليمين، هم من اتباع ابراهيم الخليل وموسى الكليم، ومحمد المبعوث الى الناس اجمعين. وقد فرق الله في كتابه المبين الذي جعله حاكما بين الناس فيما اختلفوا فيه من الحق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والمؤمنين والكافرين، وقال تعالى (ام حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون ؟) وقال (ام نجعل

الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار ؟)
وقال (افنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون ؟)

وقد بين حال من تشبه بالانبياء وباهل العلم والايمان من اهل الكذب والفجور الملبوس عليهم اللابسين. وأخبر ان لهم تنزلا ووحيا ولكن من الشياطين، فقال تعالى (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان اطعمتوهم انكم لمشركون) وقال تعالى (هل انبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك اثيم) وأخبر ان كل من ارتد عن دين الله فلا بد ان يأتي الله بدله بمن يقيم دينه المبين، فقال (ياايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم)

وذلك ان مذهب هؤلاء الملاحدة فيما يقولونه من الكلام وينظمونه من الشعر بين حديث مفترى وشعر مفتعل . واليهما اشار ابو بكر الصديق رضي الله عنه لما قال له عمر بن الخطاب في بعض مايخاطبه به: ياخليفة رسول الله تألف الناس. فأخذ باحيته وقال : ياابن الخطاب ، أجباراً في الجاهلية خواراً في الاسلام؟ علام أتألفهم؟ أعلى حديث مفترى ؟ ام شعر مفتعل ؟ يقول: اني لست أدعوهم إلى حديث مفترى كقرآن مسيلمة ، ولا شعر مفتعل كشعر طليحة الاسدي .

وهذان النوعان هما اللذان يعارض بهما القرآن اهل الفجور والافك المبين ، قال تعالى (فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون انه لقول رسول كريم) الى آخر الآية . وقال تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الامين) الآيات إلى قوله (وما تنزلت به الشياطين) الى آخر السورة . فذكر في هذه السورة علامة الكهان الكاذبين، والشعراء الغاوين، ونزهه عن هذين الصنفين كما في سورة الحاقة. وقال تعالى (انه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين) الى آخر السورة . فالرسول هنا جبريل . وفي الآية الاولى محمد ﷺ. ولهذا نزه محمداً هناك ان يكون شاعراً او كاهنا ونزه هنا الرسول اليه ان يكون من الشياطين

فصل

اعلم ـ هداك الله وأرشدك ـ ان تصور مذهب هؤلاء كاف في بيان فساده ولا يحتاج مع حسن التصور الى دليل آخر ، وانما تقع الشبهة لان أكثر الناس لايفهمون حقيقة قولهم وقصدهم، لما فيه من الالفاظ المجملة والمشتركة ، بل وهم أيضا لايفهمون حقيقة مايقصدونه ويقولونه ، ولهذا يتناقضون كثيراً في قولهم ، وانما يتخيلون شيئا ويقولونه او يتبعونه ، ولهذا قد افترقوا بينهم على فرق ، ولا يهتدون إلى التمييز بين فرقهم ، مع استشعارهم انهم مفترقون، ولهذا لما بينت لطوائف من اتباعهم ورؤسائهم حقيقة قولهم ، وسر مذهبهم ، صاروا يعظمون ذلك ، ولولا ما اقرنه بذلك من الذم والرد لجعلوني من أئمتهم ، وبذلوا لي من طاعة نفوسهم وأموالهم مايجل عن الوصف ، كما تبذله النصارى لرؤسائهم ، والاسماعيلية لكبرائهم ، وكما بذل آل فرعون لفرعون ،

وكل من يقبل قول هؤلاء فهو أحد رجلين اما جاهل بحقيقة امرهم ، وإما ظالم يريد علواً في الارض وفساداً ، او جامع بين الوصفين. وهذه حال اتباع فرعون الذين قال الله فيهم (فاستخف قومه فأطاعوه) وحال القرامطة مع رؤسائهم ، وحال الكفار والمنافقين في أئمتهم الذين يدعون إلى النار ويوم القيامة لاينصرون (إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا) الى آخر الآية وقوله (والعنهم لعنا كبيرا) وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً ـ إلى قوله ـ وما هم بخارجين من النار)

فصل

اعلم ان حقيقة قول هؤلاء ان وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى ليس وجودها غيره ولا شيء سواه ألبتة، ولهذا من سماهم حلولية أو قال هم قائلون بالحلول رأوه محجوبا عن معرفة قولهم خارجا عن الدخول الى باطن امرهم، لأن من قال ان الله يحل في المخلوقات فقد قال بأن المحل غير الحال ، وهذا تثنية عندهم واثبات لموجودين (احدهما) وجود الحق الحال (والثاني) وجود المخلوق المحل

وهم لايقرون باثبات وجودين ألبتة . ولا ريب ان هـذا القول اقل كفراً من قولهم، وهو قول كثير من الجهمية الذين كان السلف يردون قولهم، وهم الذين يزعمون ان الله بذاته في كل مكان . وقد ذكره جماعات من الائمة والسلف عن الجهمية وكفروهم به ، بل جعلهم خلق من الائمة ـ كابن المبارك ويوسف بن اسباط وطائفة من اهل العلم والحديث من اصحاب احمد وغيره ـ خارجين بذلك عن الثنتين والسبعين فرقة . وهو قول بعض متكلمة الجهمية وكثير من متعبديهم . ولا ريب ان إلحاد هؤلاء المتأخرين وتجهمهم وزندقتهم تفريع وتكميل لالحاد هذه الجهمية الاولى وتجهمها وزندقتها

وأما وجه تسميتهم اتحادية ففيه طريقان (احدهما) لايرضونه لان الاتحاد على وزن الاقتران والاقتران يقتضي شيئين اتحد احدهما بالآخر وهم لايقرون بوجودين أبدا (والطريق الثاني) صحة ذلك بناء على ان الكثرة صارت وحدة كما سأبينه من اضطرابهم

وهذه الطريقة إما على مذهب ابن عربي فانه يجعل الوجود غير الثبوت ويقول ان وجود الحق قاض على ثبوت المكنات ، فيصح الاتحاد بين الوجود والثبوت واما على قول من لايفرق فيقول ان الكثرة الخيالية صارت وحدة بعد الكشف او الكثرة العينية صارت وحدة اطلاقية

فصل

ولما كان أصلهم الذي بنوا عليه ان وجود المخلوقات والمصنوعات حق وجود الجن والشياطين والكافرين والفاسقين والكلاب والخنازير والنجاسات والكفر والفسوق والعصيان عين وجود الرب، لا انه متميز عنه منفصل عن ذاته، وان كان مخلوقا له مربوباً مصنوعا له قائما به، وهم يشهدون ان في الكائنات تفرقا وكثرة ظاهرة بالحس والعقل، فاحتاجوا الي جمع يزيل الكثرة، ووحدة ترفع التفرق مع ثبوتها، فاضطربوا على ثلاث مقالات ، انا ابينها لك وان كانوا هم لايبين بعضهم مقالة نفسه ومقالة غيره لعدم كمال شهود الحق وتصوره

المقالة الاولى

﴿ مقالة ابن عربي صاحب فصوص الحكم ﴾

وهي مع كونها كفرا فهو اقربهم الى الاسلام لما يوجد في كلامه من الكلام الجيد كثيرا ، ولانه لايثبت على الاتحاد ثبات غيره ، بل هو كثير الاضطراب فيه ، وانما هو قائم مع خياله الواسع الذي يتخيل فيه الحق تارة والباطل اخرى . والله اعلم بما مات عليه . فان مقالته مبنية على اصلين

الاصل الاول لمذهب ابن عربي

(احدهما) ان المعدوم شيء ثابت في العدم ، موافقة لمن قال ذلك من المعتزلة والرافضة . واول من ابتدع هذه المقالة في الاسلام ابو عثمان الشحام شيخ ابي علي الجبائي وتبعه عليها طوائف من القدرية المبتدعة من المعتزلة والرافضة ، وهؤلاء يقولون ان كل معدوم يمكن وجوده فان حقيقته وماهيته وعينه ثابتة في العدم ، لانه لولا ثبوتها لما تميز المعلوم المخبر عنه من غير المعلوم المخبر عنه، ولما صح قصد ما يراد ايجاده، لان القصد يستدعي التمييز ، والتمييز لايكون الا في شيء ثابت، لكن هؤلاء وان ابتدعوا هذه المقالة التي هي باطلة في نفسها وقد كفرهم بها طوائف من متكلمة السنة ـ فهم يعترفون بان الله خلق وجودها، ولا يقولون ان عين وجودها عين وجود الحق. واما صاحب الفصوص واتباعه فيقولون: عين وجودها عين وجود الحق، فهي متميزة بذواتها الثابتة في العدم متحدة بوجود الحق العالم بها. وعامة كلامه ينبني على هذا لمن تدبره وفهمه

وهؤلاء القائلون بان المعدوم شيء ثابت في العدم سواء قالوا بان وجودها خلق الله او هو الله ، يقولون إن الماهيات والاعيان غير مجعولة ولا مخلوقة وان وجود كل شيء قدر زائد على ماهيته، وقد يقولون الوجود صفة للموجود

وهذا القول وإن كان فيه شبه بقول القائلين بقدم العالم او القائلين بقدم مادة

العالم وهيولاه المتميزة عن صورته فليس هو اياه، وان كان بينهما قدر مشترك، فان هذه الصورة المحدثة من الحيوان والنبات والمعادن ليست قديمة باتفاق جميع العقلاء، بل هي كائنة بعد ان لم تكن، وكذلك الصفات والاعراض القائمة باجسام السموات والاستحالات القائمة بالعناصر من حركات الكواكب والشمس والقمر والسحاب والمطر والرعد والبرق وغير ذلك، كل هذا حادث غير قديم، عند كل ذي حس سليم، فانه يرى ذلك بعينه. والذين يقولون بان عين المعدوم ثابتة في القدم او بان مادته قديمة يقولون بان أعيان جميع هذه الاشياء ثابتة في القدم، ويقولون ان مواد جميع العالم قديمة دون صوره

واعلم أن المذهب إذا كان باطلا في نفسه لم يمكن الناقد له ان ينقله على وجه يتصور تصورا حقيقيا فان هذا لا يكون الا للحق. فاما القول الباطل فاذا بين فبيانه يظهر فساده، حتى يقال كيف اشتبه هذا على أحد ويتعجب من اعتقادهم إياه، ولا ينبغي للانسان ان يعجب، فما من شيء يتخيل من انواع الباطل الا وقد ذهب اليه فريق من الناس. ولهذا وصف الله أهل الباطل بانهم أموات وأنهم (صم بكم عمي) وانهم (لا يفقهون*ولا يعقلون) وانهم (في قول مختلف يؤفك عنه من أفك) وانهم (في ريبهم يترددون) وانهم (يعمهون)

وانما نشأ ـ والله أعلم ـ الاشتباه على هؤلاء من حيث رأوا أن الله سبحانه يعلم مالم يكن قبل كونه ـ أو (إنما امره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) فرأوا ان المعدوم الذي يخلقه يتميز في علمه وإرادته وقدرته، فظنوا ذلك لتميز ذات له ثابتة وليس الامر كذلك. وانما هو متميز في علم الله وكتابه، والواحد منا يعلم الموجود والمعدوم الممكن والمعدوم المستحيل، ويعلم ما كان كآدم والانبياء، ويعلم مايكون كالقيامة والحساب، ويعلم مالم يكن لو كان كيف كان يكون، كما يعلم ما أخبر الله به عن أهل النار (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) وانهم (لو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم) وانه (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) وانه (لو كان فيهما آلهة كما يقولون اذاً لا ابتغوا الى ذي العرش سبيلا) وانهم (لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا) وانه (لولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد ابدا)

ونحو ذلك من الجمل الشرطية التي يعلم فيها انتفاء الشرط أو ثبوته .

فهذه الامور التي نعلمها نحن ونتصورها، اما نافين لها أو مثبتين لها في الخارج أو مترددين - ليس بمجرد تصورنا يكون لاعيانها ثبوت في الخارج عن علمنا وأذهاننا، كما نتصور جبل ياقوت وبحر زئبق وانسانا من ذهب وفرسا من حجر . فثبوت الشيء في العلم والتقدير ليس هو ثبوت عينه في الخارج، بل العالم يعلم الشيء ويتكلم به ويكتبه وليس لذاته في الخارج ثبوت ولا وجود أصلا . وهذا هو تقدير الله السابق لخلقه كما في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « ان الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة »

وفي سنن ابي داود عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال « أول ما خلق الله القلم فقال : اكتب قال : رب وما اكتب ؟ قال، اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة » وقال ابن عباس « ان الله خلق الخلق وعلم ما هم عاملون ، ثم قال لعلمه « كن كتابا » فكان كتابا ، ثم انزل تصديق ذلك في كتابه فقال (ألم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض، ان ذلك في كتاب) »

وهذا هو معنى الحديث الذي رواه احمد في مسنده عن ميسرة الفجر قال: قلت يا رسول الله متى كنت نبيا ، وفي رواية متى كتبت نبيا ؟ - قال « وآدم بين الروح والجسد » هكذا لفظ الحديث الصحيح . وما مايرويه هؤلاء الجهال (١) كابن عربي في الفصوص وغيره من جهال العامة « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» « كنت نبيا وآدم لا ماء ولا طين» فهذا لا اصل له ولم يروه احد من أهل العلم الصادقين ، ولا هو في شيء من كتب العلم المعتمدة بهذا اللفظ بل هو باطل، فان آدم لم يكن بين الماء والطين قط فان الله خلقه من تراب، وخلط التراب بالماء حتى صار طينا ويبس الطين حتى صار صلصالا كالفخار، فلم يكن له حال بين الماء والطين مركب من الماء والتراب، ولو قيل بين الماء والتراب لكان أبعد عن المحال ، مع ان هذه الحال لا اختصاص لها، وانما قال « بين الروح والجسد» و قال «وان آدم لمنجدل في طينته » لان آدم بقي أربعين سنة قبل نفخ الروح فيه كما

---

(١) أي الجهال بعلم الرواية والاسانيد ونقد الحديث

قال تعالى (هل أتى على الانسان حين من الدهر) الآية وقال تعالى (وإذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من صلصال) الآيتين. وقال تعالى (الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين) الآيتين وقال تعالى (إذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من طين) الآية . والاحاديث في خلق آدم ونفخ الروح فيه مشهورة في كتب الحديث والتفسير وغيرهما

فاخبر ﷺ انه كان نبيا أي كتب نبيا وآدم بين الروح والجسد . وهذا والله أعلم لان هذه الحالة فيها يقدر التقدير الذي يكون بايدي ملائكة الخلق فيقدر لهم ويظهر لهم ويكتب مايكون من المخلوق قبل نفخ الروح فيه، كما أخرج الشيخان في الصحيحين وفي سائر الكتب الامهات حديث الصادق المصدوق وهو من الاحاديث المستفيضه التي تلقاها أهل العلم بالقبول وأجمعوا على تصديقها وهو حديث الاعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق « ان أحدكم يجمع خلقه في بطن امه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله الملك فيؤمر باربع كلمات فيقال: اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أوسعيد، ثم ينفخ فيه الروح — وقال — فوالذي نفسي بيده ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة » فلما أخبر الصادق المصدوق ان الملك يكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد بعد خلق الجسد وقبل نفخ الروح، وآدم هو أبو البشر كان أيضاً من المناسب لهذا أن يكتب بعد خلق جسده وقبل نفخ الروح فيه مايكون منه، ومحمد ﷺ سيد ولد آدم فهو أعظم الذرية قدراً وأرفعهم ذكرا، فأخبر ﷺ انه كتب نبيا حينئذ، وكتابة نبوته هو معنى كون نبوته فانه كون في التقدير الكتابي، ليس كونا في الوجود العيني، إذ نبوته لم يكن وجودها حتى نبأه الله تعالى على رأس أربعين من عمره ﷺ كما قال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا) الآية . وقال (ألم يجدك يتيما فآوى)

الآية . وقال (نحن نقص عليك أحسن القصص) الآية . ولذلك جاء هذا المعنى مفسراً في حديث العرباض بن سارية عن رسول الله ﷺ انه قال «اني عبدالله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته،وسأخبركم بأول أمري:دعوة ابراهيم،وبشارة عيسى،ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور أضاءت لها منه قصور الشام » هذا لفظ الحديث من رواية ابن وهب

حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد عن عبدالأعلى بن هلال السلمي عن العرباض رواه البغوي في شرح السنة هكذا،ورواه الليث بن سعد عنه نحوه، ورواه الامام أحمد في المسند عن ابن مهدي:حدثنا معاوية بن صالح بالاسناد عن العرباض.قال قال رسول الله ﷺ « اني عبد الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك:دعوة أبي ابراهيم»الحديث. وفيه « كذلك أمهات النبيين يرين » وقوله « لمنجدل في طينته » أي ملتف ومطروح على وجه الارض صورة من طين لم تجر فيه الروح بعد

وقد روي ان الله كتب اسمه على العرش وعلى مافي الجنة من الابواب والقباب والاوراق ، وروي في ذلك عدة آثار توافق هذه الاحاديث الثابتة التي تبين التنويه باسمه واعلاء ذكره حينئذ

وقد تقدم لفظ الحديث الذي في المسند عن ميسرة الفجر لما قيل له متى كنت نبيا ؟ قال «وآدم بين الروح والجسد » وقد رواه أبو الحسن بن بشران من طريق الشيخ أبي الفرج بن الجوزي في(الوفاء بفضائل المصطفى) ﷺ : حدثنا ابو جعفر محمد بن عمرو حدثنا احمد بن اسحاق بن صالح ثنا محمد بن صالح ثنا محمد بن سنان العوفي ثنا ابراهيم بن طهمان عن يزيد بن ميسرة عن عبد الله ابن سفيان عن ميسرة قال قلت: يارسول الله، متى كنت نبيا ؟ قال «لما خلق الله الارض واستوى الى السماء فسواهن سبع سموات وخلق العرش كتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الانبياء وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحواء فكتب اسمي على الابواب والاوراق والقباب والخيام وآدم بين الروح والجسد، فلما أحياه الله تعالى نظر الى العرش فرأى اسمي فأخبره الله انه سيد ولدك ، فلما

غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي اليه »

وروى ابو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة: ومن طريق الشيخ أبي الفرج حدثنا سليمان بن احمد ثنا احمد بن رشدين ثنا احمد بن سعيد الفهري ثنا عبدالله ابن اسماعيل المدني عن عبد الرحمن زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ « لما أصاب آدم الخطيئة رفع رأسه فقال يارب بحق محمد إلا غفرت لي، فأوحى اليه وما محمد؟ ومن محمد؟ فقال: يارب إنك لما أتممت خلقي رفعت رأسي الى عرشك فاذا عليه مكتوب : لاإله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت انه أكرم خلقك عليك، إذ قرنت اسمه مع اسمك . فقال: نعم، قد غفرت لك وهو آخر الانبياء من ذريتك ولولاه ماخلقتك » فهذا الحديث يؤيد الذي قبله وهما كالتفسير للاحاديث الصحيحة (١)

وفي الصحيحين عن عائشة قالت « أول مابدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب اليه الخلاء، فكان يأتي غار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق، وهو بحراء، فأتاه الملك فقال له: اقرأ . قال لست بقاريء . قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال : اقرأ . فقلت : لست بقاريء، قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ . فقلت لست بقاريء، ثم أخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال : اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق) فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره » الحديث بطوله، فقد اخبر في هذا الحديث الصحيح انه لم يكن قارئا ، وهذه السورة أول ماأنزل

---

(١) يشير بقوله كالتفسير للاحاديث الصحيحة الى عدم صحتها وكونها ليسا بمعنى الاحاديث الصحيحة السابقة وإنما يوافقانها من وجه واحد وهو كتابة المقادير قبل خلق ما جرت فيه من الخلق وغرضه منها تقوية الشواهد على علم الله بالاشياء وكتابته اياها قبل خلقها ، وان ثبوتها في العلم غير ثبوتها في الوجود

الله عليه وبها صار نبياء ثم انزل عليه سورة المدثر، وبها صار رسولا لقوله (قم فأنذر) ولهذا ذكر سبحانه في هذه السورة الوجود العيني والوجود العلمي. وهذا أمر بين يعقله الانسان بقلبه لايحتاج فيه الى سمع، فان الشيء لايكون قبل كونه. وأما كون الاشياء معلومة لله قبل كونها فهذا حق لا ريب فيه. وكذلك كونها مكتوبة عنده أو عند ملائكته، كما دل على ذلك الكتاب والسنة وجاءت به الآثار

وهذا العلم والكتاب هو القدر الذي ينكره غالية القدرية ويزعمون ان الله لا يعلم افعال العباد إلا بعد وجودها وهم كفار، كفرهم الائمة كالشافعي واحمد وغيرهما

وقد بين الكتاب والسنة هذا القدر وأجاب النبي ﷺ عن السؤال الوارد عليه، وهو ترك العمل لاجله، فأجاب ﷺ عن ذلك، ففي الصحيحين عن علي بن ابي طالب قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة[1] فجعل ينكت بمخصرته ثم قال « ما منكم من أحد ـ أو قال ـ مانفس منفوسة إلا قد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتب شقية أو سعيدة » قال فقال رجل: يارسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل، فمن كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلي عمل أهل الشقاوة؟ فقال « اعملوا فكل ميسر: أما أهل السعادة فييسرون لعمل اهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة — ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى) الى آخر الآيات » وفي رواية: كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً وفي يده عود ينكت به الارض فرفع رأسه فقال «ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار » قالوا يا رسول الله فلمَ نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال « لا. اعملوا فكلٌ ميسرٌ لما خُلق له — ثم قرأ (فأما من أعطى) الآية»

وفي الصحيحين أيضاً عن عمران بن حصين قال: قيل يارسول الله، أعُلِم أهل

---

(١) المخصرة: ماتوكأ عليه كالعصا ونحوه وما يأخذه الملك يشير به اذا خاطب والخطيب اذا خطب

الجنة من اهل النار ؟ قال «نعم» قال فقيل: ففيم يعمل العاملون ؟ فقال «كل ميسر لما خُلق له» وفي روايةَ: ان رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يارسول الله، أرأيت مايعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدَر قد سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبت الحجة عليهم؟ فقال «لا. بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله (ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها)»

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال: يارسول الله، بيّن لنا ديننا كأنا خُلقنا الآن، فيم العمل اليوم؟ أفيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير؟ أم فيما يستقبل؟ قال «لا. بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير» قل: ففيم العمل؟ قال «اعملوا فكل ميسر»

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة — قال: وعرشه على الماء»

وفي سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت انه قال لابنه: يابني، انك لن تجد طعم حقيقة الايمان حتى تعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان أول ماخلق الله القلم فقال له: أكتب، قال: رب، ما أكتب؟ قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة» يابني سمعت رسول الله ﷺ يقول «من مات على غير هذا فليس مني» ورواه الترمذي من وجه آخر عن الوليد بن عبادة انه قال: دعاني — يعني اباه — عند الموت فقال: يابني اتق الله، واعلم انك إن تتق الله تؤمن بالله وتؤمن بالقدر كله، خيره وشره، وان مت على غير هذا دخلت النار، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان اول ماخلق الله القلم فقال اكتب، قال ما أكتب؟ قال اكتب القدر، ما كان وما هو كائن الى الابد»

وفي الترمذي أيضا عن ابي حزامة عن أبيه ان رجلا أتى النبي ﷺ فقال أرأيت رُقًى نسترقيها ودواء نتداوى به وتُقاة نتقيها، هل ترد من قضاء الله تعالى

شيئا ؛ قال «هي من قدر الله»

لكن انما ثبتت في التقدير المعدوم الممكن الذي سيكون ، فأما المعدوم الممكن الذي لا يكون فمثل إدخال المؤمنين النار وإقامة القيامة قبل وقتها ، وقلب الجبال يواقيت ونحو ذلك ، فهذا المعدوم ممكن وهو شيء ثابت في العدم عند من يقول للمعدوم شيء ، ومع هذا فليس بمقدر كونه ، والله يعلمه على ماهو عليه ، يعلم انه ممكن وانه لا يكون ، وكذلك الممتنعات مثل شريك الباري وولده ، فان الله يعلم انه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد ، ويعلم انه ليس له شريك في الملك ولا ولي من الذل ويعلم انه حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، ويعلم انه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض . وهذه المعدومات الممتنعة ليست شيئاً باتفاق العقلاء مع ثبوتها في العلم ، فظهر انه قد ثبت في العلم ما لا يوجد وما يمتنع ان يوجد اذ العلم واسع ، فاذا توسع المتوسع وقال المعدوم شيء في العلم او موجود في العلم او ثابت في العلم فهذا صحيح ، أما انه في نفسه شيء فهذا باطل ، وبهذا تزول الشبهة الحاصلة في هذه المسئلة

والذي عليه اهل السنة والجماعة وعامة عقلاء بني آدم من جميع الاصناف: أن المعدوم ليس في نفسه شيئا وان ثبوته ووجوده وحصوله شيء واحد ، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع القديم ، قال الله تعالى لزكريا (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً) فأخبر انه لم يك شيئا . وقال تعالى (أوَلا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) وقال تعالى (ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون) فأنكر عليهم اعتقاد ان يكونوا خلقوا من غير شيء خلقهم ام خلقوا هم انفسهم ، ولهذا قال جبير بن مطعم : لما سمعت رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة احسست بفؤادي قد انصدع . ولو كان المعدوم شيئا لم يتم الانكار ، إذا جاز ان يقال ما خلقوا إلا من شيء ، لكن هو معدوم فيكون الخالق لهم شيئا معدوماً . وقال تعالى (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً) ولو كان المعدوم شيئاً لكان التقدير : لا يظلمون موجوداً ولا معدوما ، والمعدوم لا يتصور ان يظلموه فانه ليس لهم

وأما قوله (ان زلزلة الساعة شيء عظيم) فهو إخبار عن الزلزلة الواقعة

أنها شيء عظيم ليس إخباراً عن الزلزلة في هذه الحال ولهذا قال (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت) ولو أريد به الساعة لكان المراد بها شيء عظيم في العلم والتقدير وقوله تعالي (انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون)قد استدل به من قال المعدوم شيء وهو حجة عليه، لانه اخبر انه يريد الشيء وانه يكونه، وعندهم أنه ثابت في العدم وانما يراد وجوده لاعينه ونفسه . والقرآن قد اخبر ان نفسه تراد وتكوّن وهذا من فروع هذه المسئلة .

فان الذي عليه أهل السنة والجماعة وعامة العقلاء أن الماهيات مجعولة وأن ماهية كل شيء عين وجوده، وانه ليس وجود الشيء قدراً زائدا على ماهيته ، بل ليس في الخارج الا الشيء الذي هو الشيء وهو عينه ونفسه وماهيته وحقيقته، وليس وجوده وثبوته في الخارج زائدا على ذلك .

وأولئك يقولون الوجود قدر زائد على الماهية ويقولون الماهيات غير مجعولة، ويقولون وجود كل شيء زائد على ماهيته، ومن المتفلسفة من يفرق بين الوجود الواجب والممكن فيقول : الوجود الواجب عين الماهية . وأما الوجود الممكن فهو زائد على الماهية. وشبهة هؤلاء ماتقدم من أن الانسان قد يعلم ماهية الشيء ولا يعلم وجوده ، وأن الوجود مشترك بين الموجودات وماهية كل شيء مختصة به .

ومن تدبر تبين له حقيقة الامر فانا قد قدمنا الفرق بين الوجود العلمي والعيني. وهذا الفرق ثابت في الوجود والعين والثبوت والماهية وغير ذلك . فثبوت هذه الامور في العلم والكتاب والكلام ليس هو ثبوتها في الخارج عن ذلك(١) وهو ثبوت حقيقتها وماهيتها التي هي هي ، والانسان إذا تصور ماهية فقد علم وجودها الذهني، ولا يلزم من ذلك الوجود الحقيقي الخارجي. فقول القائل: قد تصورت حقيقة الشيء وعينه ونفسه وماهيته وماعلمت وجوده حصل وجوده العلمي ، وما حصل وجوده العيني الحقيقي ولم يعلم ماهيته الحقيقية ولا عينه الحقيقية ولا نفسه الحقيقية الخارجية فلا فرق بين لفظ وجوده ولفظ ماهيته الا أن أحد اللفظين قد يعبر به عن الذهني والآخر عن الخارجي فجاء الفرق من جهة المحل لا من جهة الماهية والوجود

(١) أي الخارج عن الامور الثلاثة المذكورة

واما قولهم : إن الوجود مشترك والحقيقة لا اشتراك فيها. فالقول فيه كذلك فان الوجود المعين الموجود في الخارج لا اشتراك فيه، كما ان الحقيقة المعينة الموجودة في الخارج لا اشتراك فيها . وانما العلم يدرك الوجود المشترك كما يدرك الماهية المشتركة، فالمشترك ثبوته في الذهن لا في الخارج، وما في الخارج ليس فيه اشتراك ألبتة، والذهن ان ادرك الماهية المعينة الموجودة في الخارج لم يكن فيها اشتراك وانما الاشتراك فيما يدركه من الامور المطلقة العامة وليس في الخارج شيء مطلق عام بوصف بالاطلاق والعموم ؟ وانما فيه المطلق لا بشرط الاطلاق وذلك لا يوجد في الخارج الا معينا، فينبغي للعاقل ان يفرق بين ثبوت الشيء ووجوده في نفسه، وبين ثبوته ووجوده في العلم، فان ذاك هو الوجود العيني الخارجي الحقيقي ، وأما هذا فيقال له الوجود الذهني والعلمي. ومامن شيء الا له هذان الثبوتان والعلم يعبر عنه باللفظ ويكتب اللفظ بالخط فيصير لكل شيء اربعة مراتب: وجود في الاعيان، ووجود في الاذهان ، ووجود في اللسان ، ووجود في البنان ، وجود عيني ، وعلمي ، ولفظي، ورسمي

ولهذا كان أول ما أنزل الله على نبيه سورة (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ذكر فيها النوعين فقال (اقرأ باسم ربك الذي خلق*خلق الانسان من علق) فذكر جميع المخلوقات بوجودها العيني عموما ثم خصوصا، فخص الانسان بالخلق بعد ماعم غيره، ثم قال (اقرأ وربك الاكرم*الذي علم بالقلم*علم الانسان مالم يعلم) فخص التعليم للانسان بعد تعميم التعليم بالقلم، وذكر القلم لان التعليم بالقلم هو الخط وهو مستلزم لتعليم اللفظ، فان الخط يطابقه، وتعليم اللفظ هو البيان وهو مستلزم لتعليم العلم ، لان العبارة تطابق المعنى، فصار تعليمه بالقلم مستلزما للمراتب الثلاث: اللفظي، والعلمي، والرسمي، بخلاف مالو اطلق التعليم او ذكر تعليم العلم فقط لم يكن ذلك مستوعبا للمراتب ،

فذكر في هذه السورة الوجود العيني والعلمي وان الله سبحانه هو معطيهما فهو خالق الخلق وخالق الانسان ، وهو المعلم بالقلم ومعلم الانسان

فاما اثبات وجود الشيء في الخارج قبل وجوده فهذا أمر معلوم الفساد بالعقل والسمع وهو مخالف للكتاب والسنة والاجماع .

فصل

الاصل الثاني لمذهب ابن عربي

هذا أحد أصلي ابن عربي . واما الاصل الآخر فقولهم ان وجود الاعيان نفس وجود الحق وعينه . وهذا انفردوا به عن جميع مثبتة الصانع من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والمشركين، وانما هو حقيقه قول فرعون والقرامطة المنكرين لوجود الصانع كما سنبينه ان شاء الله

فمن فهم هذا فهم جميع كلام ابن عربي نظمه ونثره (١) وما يدعيه من ان الحق يغتذي بالخلق، لان وجود الاعيان معتمد بالأعيان الثابتة في العدم، ولهذا يقول بالجمع من حيث الوجود، وبالفرق من حيث الماهية والاعيان، ويزعم ان هذا هو سر القدر، لان الماهيات لا تقبل الا ماهو ثابت لها في العدم في انفسها، فهى التي احسنت واساءت، وحمدت وذمت، والحق لم يعطها شيئا الا ما كانت عليه في حال العدم

فتدبر كلامه كيف انتظم شيئين: انكار وجود الحق، وانكار خلقه لمخلوقاته، فهو منكر للرب الذي خلق فلا يقر برب ولا بخلق، ومنكر لرب العالمين، فلا رب ولا عالمون مربوبون، اذ ليس الا اعيان ثابتة ووجود قائم بها، فلا الاعيان مربوبة ولا الوجود مربوب، ولا الاعيان مخلوقة ولا الوجود مخلوق . وهذا يفرق بين المظاهر والظاهر والمجلي والمتجلي، لان المظاهر عنده هي الاعيان الثابتة في العدم، واما الظاهر فهو وجود الخلق

---

(١) هذا بمعنى قول شيخنا ان لكلام ابن عربي مفتاحا من عرفه فهم جميع كلامه فانا أقرأ الفتوحات كما أقرأ تاريخ ابن الاثير . وقال أيضاً: انما أبهم هؤلاء الصوفية مذهبهم بالاصطلاحات التي تشبه الالغاز تقية وهربا من تكفير الجمهور لهم

فصل

واما صاحبه الصدر الفخر الرومي فانه لايقول ان الوجود زائد على الماهية، فانه كان ادخل في النظر والكلام من شيخه، لكنه اكفر واقل علما وايمانا، واقل معرفة بالاسلام وكلام المشايخ. ولما كان مذهبهم كفرا كان كل من حذق فيه كان اكفر، فلما رأى ان التفريق بين وجود الاشياء واعيانها لايستقيم وعنده ان الله هو الوجود ولابد من فرق بين هذا وهذا، فرق بين المطلق والمعين، فعنده ان الله هو الوجود المطلق الذي لايتعين ولا يتميز، وانه اذا تعين وتميز فهو الحق سواء تعين في مرتبة الالهية او غيرها. وهذا القول قد صرح فيه بالكفر أكثر من الاول، وهو حقيقة مذهب فرعون والقرامطة، وإن كان الاول أفسد من جهة تفرقته بين وجود الاشياء وثبوتها، وذلك انه على القول لاول يمكن أن يجعل للحق وجودا خارجا عن اعيان الممكنات، وأنه فاض عليها فيكون فيه اعتراف بوجود الرب القائم بنفسه الغني عن خلقه، وان كان فيه كفر من جهة انه جعل المخلوق هو الخالق، والمربوب هو الرب، بل لم يثبت خلقا أصلا ومع هذا فما رأيته صرح بوجود الرب متميزا عن الوجود القائم بأعيان الممكنات

وأما هذا فقد صرح بانه ماثم سوى الوجود المطلق الساري في الموجودات المعينة. والمطلق ليس له وجود مطلق، فما في الخارج جسم مطلق بشرط الاطلاق، ولا انسان مطلق ولا حيوان مطلق بشرط الاطلاق، بل لايوجد إلا في شيء معين والحقائق لها ثلاث اعتبارات: اعتبار العموم، والخصوص، والاطلاق، فاذا قلنا: حيوان عام او انسان عام، أو جسم عام، ووجود عام، فهذا لايكون إلا في العلم واللسان، وأما الخارج عن ذلك فما ثم شيء موجود في الخارج يعم شيئين، ولهذا كان العموم من عوارض صفات الحي فيقال: علم عام، وارادة عامة، وغضب عام، وخبر عام، وأمر عام، ويوصف صاحب الصفة بالعموم أيضا كما في الحديث الذي

في سنن ابي داود ان النبي ﷺ مر بعلي وهو يدعوفقال « ياعلي عُمّ ، فان فضل العموم على الخصوص كفضل السماء على الارض » وفي الحديث انه لما نزل قوله (وأنذر عشيرتك الاقربين) عم وخص . رواه مسلم من حديث موسى بن طلحة عن ابي هريرة ، وتوصف الصفة بالعموم كما في حديث التشهد « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فاذا قلتم ذلك فقد أصابت كل عبد صالح لله في السماء والارض »

وأما إطلاق من أطلق ان العموم من عوارض الالفاظ فقط ، فليس كذلك إذ معاني الالفاظ القائمة بالقلب أحق بالعموم من الالفاظ . وسائر الصفات: الارادة والحب والبغض والغضب والرضا يعرض لها من العموم والخصوص ما يعرض للقول ، وانما المعاني الخارجة عن الذهن هي الموجودة في الخارج ، كقولهم : مطر عام وخصب عام . هذه التي تنازع الناس: هل وصفها بالعموم حقيقة او مجاز ؟ على قولين (أحدهما) مجاز لان كل جزء من أجزاء المطر والخصب لايقع الاحيث يقع الآخر فليس هناك عموم ، وقيل بل حقيقة لان المطر المطلق قد عم.

وأما الخصوص فيعرض لها إذا كانت موجودة في الخارج ، فان كل شيء له ذات وعين يختص به ويمتاز بها عن غيره ، أعني الحقيقة العينية الشخصية التي لا اشتراك فيها ، مثل : هذا الرجل وهذه الحبة وهذا الدرهم ، وما عرض لها في الخارج فانه يعرض لها في الذهن . فان تصور الذهنية أوسع من الحقائق الخارجية فانها تشمل الموجود والمعدوم والممتنع والمقدرات

وأما الاطلاق فيعرض لها إذا كانت في الذهن بلا ريب فان العقل يتصور انسانا مطلقا ووجوداً مطلقا . واما في الخارج فهل يتصور شيء مطلق ؟ هذا فيه قولان، قيل: المطلق له وجود في الخارج فانه جزء من المعين ، وقيل لا وجود له في الخارج ، اذ ليس في الخارج إلا معين مقيد ، والمطلق الذي يشترك فيه العدد لايكون جزءا من المعين الذي لايشركه فيه

والتحقيق ان المطلق بلا شرط أصلا يدخل فيه المقيد المعين، وأما المطلق بشرط الاطلاق فلا يدخل فيه المعين المقيد، وهذا كما يقول الفقهاء : الماء المطلق، فانه بشرط الاطلاق فلا يدخل فيه المضاف. فاذا قلنا : الماء ينقسم الى ثلاثة أقسام : طهور، وطاهر ونجس ، فالثلاثة أقسام الماء. الطهور هو الماء المطلق الذي لا يدخل ما ليس بطهور كالعصارات والمياه النجسة . فالماء المقسوم هو المطلق لا بشرط، والماء الذي هو قسيم للمائين هو المطلق بشرط الاطلاق .

لكن هذا الاطلاق والتقييد الذي قاله الفقهاء في اسم الماء انما هو في الاطلاق والتقييد اللفظي وهو مادخل في اللفظ المطلق كلفظ ماء ، او في اللفظ المقيد كلفظ ماء نجس ، اوماء ورد .

وأما ما كان كلامنا فيه أولا فانه الاطلاق والتقييد في معاني اللفظ ، ففرق بين النوعين. فان الناس يغلطون لعدم التفريق بين هذين غلطا كثيراً جداً ، وذلك أن كل اسم فاما أن يكون مسماه معينا لا يقبل الشركة كأنا وهذا وزيد، ويقال له المعين والجزء ، واما أن يقبل الشركة فهذا الذي يقبل الشركة هو المعنى الكلي المطلق وله ثلاث اعتبارات كما تقدم

وأما اللفظ المطلق والمقيد فمثال تحرير رقبة ، ولم تجدوا ماء ، وذلك ان المعنى قد يدخل في مطلق اللفظ ، ولا يدخل في اللفظ المطلق ، اي يدخل في اللفظ لا بشرط الاطلاق ، ولا يدخل في اللفظ بشرط الاطلاق، كما قلنا في لفظ الماء ، وان الماء يقال على المني وغيره كما قال (من ماء دافق) ويقال : ماء الورد ، لكن هذا لا يدخل في الماء عند الاطلاق لكن عند التقييد . فاذا أخذ القدر المشترك بين لفظ الماء المطلق ولفظ الماء المقيد فهو المطلق بلا شرط الاطلاق ، فيقال : الماء ينقسم الى مطلق ومضاف ، ومورد التقسيم ليس له اسم مطلق لكن بالقرينة يقتضي الشمول والعموم، وهو قولنا الماء ثلاثة أقسام . فهنا أيضا

ثلاثة أشياء : مورد التقسيم وهو الماء العام وهو المطلق بلا شرط ، لكن ليس له لفظ مفرد إلا لفظ مؤلف ، والقسم المطلق وهو اللفظ بشرط اطلاقه ، والثاني المقيد وهو اللفظ بشرط تقييده

وانما كان كذلك لان المتكلم باللفظ إما أن يطلقه أو يقيده، ليس له حال ثالثة ، فاذا أطلقه كان له مفهوم واذا قيده كان له مفهوم ، ثم اذا قيده إما أن يقيده بقيد العموم أو بقيد الخصوص . فقيد العموم كقوله : الماء ثلاثة أقسام ، وقيد الخصوص كقوله :ماء الورد

واذا عرف الفرق بين تقييد اللفظ واطلاقه وبين تقييد المعنى واطلاقه عرف ان المعنى له ثلاثة أحوال : إما أن يكون أيضاً مطلقا، أو مقيداً بقيد العموم، أو مقيداً بقيد الخصوص ، والمطلق من المعاني نوعان : مطلق بشرط الاطلاق ، ومطلق لا بشرط ، وكذلك الالفاظ المطلق منها قد يكون مطلقا بشرط الاطلاق كقولنا الماء المطلق والرقبة المطلقة ، وقد يكون مطلقا لا بشرط الاطلاق، كقولنا انسان ،

فالمطلق المقيد بالاطلاق لايدخل فيه المقيد بما ينافي الاطلاق، فلا يدخل ماء الورد في الماء المطلق . وأما المطلق لا بقيد فيدخل فيه المقيد كما يدخل الانسان الناقص في اسم الانسان

فقد تبين ان المطلق بشرط الاطلاق من المعاني ليس له وجود في الخارج ، فليس في الخارج انسان مطلق، بل لا بد أن يتعين بهذا أو ذاك، وليس فيه حيوان مطلق، وليس فيه مطر مطلق بشرط الاطلاق .

وأما المطلق بشرط الاطلاق من الالفاظ كالماء المطلق فسماه موجود في الخارج لان شرط الاطلاق هنا في اللفظ فلا يمنع أن يكون معناه معينا ، وبشرط الاطلاق هناك في المعنى، والمسمى المطلق بشرط الاطلاق لا يتصور إذ لكل موجود حقيقة يتميز بها ، وما لا حقيقة له يتميز بها ليس بشيء ، واذا كان له

حقيقة يتميز بها فتميزه يمنع أن يكون مطلقا من كل وجه ، فان المطلق من كل وجه لا تميز له ، فليس لنا موجود هو مطلق بشرط الاطلاق ولكن العدم المحض قد يقال هو مطلق بشرط الاطلاق إذ ليس هناك حقيقة تتميز ولا ذات تتحقق حتى يقال تلك الحقيقة تمنع غيرها بحدها أن تكون إياها ، وأما المطلق من المعاني لا بشرط فهذا اذا قيل بوجوده في الخارج فانما يوجد معينا متميزاً مخصوصاً ، والمعين المخصوص يدخل في المطلق لا بشرط ولا يدخل في المطلق بشرط الاطلاق، إذ المطلق لا بشرط أعم، ولا يلزم اذا كان المطلق بلاشرط موجوداً في الخارج أن يكون المطلق المشروط بالاطلاق موجوداً في الخارج لان هذا أخص منه ، فاذا قلنا: حيوان، أو انسان، أو جسم، أو وجود مطلق، فان عنينا به المطلق بشرط الاطلاق فلا وجود له في الخارج ، وإن عنينا المطلق لا بشرط فلا يوجد إلا معينا مخصوصا، فليس في الخارج شيء إلا معين متميز منفصل عما سواه بحده وحقيقته ،

فمن قال: ان وجود الحق هو الوجود المطلق دون المعين فحقيقة قوله انه ليس للحق وجود أصلا ولا ثبوت إلا نفس الاشياء المعينة المتميزة ، والاشياء المعينة ليست إياه فليس شيئا أصلا .

وتلخيص النكتة انه لو عني به المطلق بشرط الاطلاق فلا وجود له في الخارج فلا يكون للحق وجود أصلا ، وإن عني به المطلق بلاشرط ، فان قيل بعدم وجوده في الخارج فلا كلام، وإن قيل بوجوده فلا يوجد إلا معينا فلا يكون للحق وجود إلا وجود الاعيان. فيلزم محذوران (احدهما) انه ليس للحق وجود سوى وجود المخلوقات (والثاني) التناقض وهو قوله انه الوجود المطلق دون المعين .

فتدبر قول هذا فانه يجعل الحق في الكائنات بمنزلة الكلي في جزئياته وبمنزلة الجنس والنوع والخاصة والفصل في سائر أعيانه الموجودة الثابتة في العدم . وصاحب هذا القول يجعل المظاهر والمراتب في المتعينات كما جعله الاول في الاعيان

فصل

وأما التلمساني ونحوه فلا يفرق بين ماهية ووجود ولا بين مطلق ومعين، بل عنده ما ثم سوى، ولا غير بوجه من الوجوه، وإنما الكائنات أجزاء منه وابعاض له بمنزلة أمواج البحر في البحر، وآخر البيت من البيت، فمن شعرهم :

البحر لاشك عندي في توحده وإن تعدد بالامواج والزبد
فلا يغرنك ماشاهدت من صور فالواحد الرب ساري العين في العدد

ومنه :

فما البحر إلا الموج لاشيء غيره وإن فرقته كثرة المتعدد

ولا ريب ان هذا القول هو أحذق في الكفر والزندقة ، فان التميز بين الوجود والماهية، وجعل المعدوم شيئا أو التميز في الخارج بين المطلق والمعين وجعل المطلق شيئا وراء المعينات في الذهن قولان ضعيفان باطلان، وقد عرف من حدد النظر ان من جعل في هذه الامور الموجودة في الخارج شيئين (أحدهما) وجودها (والثاني) ذواتها، أو جعل لها حقيقة مطلقة موجودة زائدة على عينها الموجودة فقد غلط غلطا قويا، واشتبه عليه ما يأخذه من العقل من المعاني المجردة المطلقة عن التعيين، ومن الماهيات المجردة عن الوجود الخارجي بما هو موجود في الخارج من ذلك، ولم يدر ان متصورات العقل ومقدراته أوسع مما هو موجود حاصل بذاته، كما يتصور المعدومات والممتنعات والمشروطات، ويقدر مالا وجود له ألبتة مما يمكن أو لا يمكن، ويأخذ من المعينات صفات مطلقة فيه. فان الموجودات ذوات متصورة فيه، لكن هذا القول أشد جهلا وكفراً بالله تعالى ، فان صاحبه لايفرق بين المظاهر والظاهر ، ولا يجعل الكثرة والتفرقة إلا في ذهن الانسان لما كان محجوبا عن شهود الحقيقة ، فلما انكشف غطاؤه عاين انه لم يكن غير ، وان الرائي عين المرئي والشاهد عين المشهود

فصل

واعلم ان هذه المقالات لا أعرفها لأحد من أمة قبل هؤلاء على هذا الوجه، ولكن رأيت في بعض كتب الفلسفة المنقولة عن أرسطو انه حكى عن بعض الفلاسفة قوله: ان الوجود واحد وردّ ذلك، وحسبك بمذهب لا يرضاه متكلمة الصابئين

وانما حدثت هذه المقالات بحدوث دولة التتار، وانما كان الكفر الحلول العام أو الاتحاد أو الحلول الخاص. وذلك ان القسمة رباعية لان من جعل الرب هو العبد حقيقة، فاما أن يقول بحلوله فيه أو اتحاده به، وعلى التقديرين فاما أن يجعل ذلك مختصاً ببعض الخلق كالمسيح أو يجعله عاما لجميع الخلق. فهذه أربعة أقسام:

(الاول) هو الحلول الخاص وهو قول النسطورية من النصارى ونحوهم ممن يقول: ان اللاهوت حل في الناسوت وتدرع به كحلول الماء في الاناء، وهؤلاء حققوا كفر النصارى بسبب مخالطتهم للمسلمين، وكان أولهم في زمن المأمون. وهذا قول من وافق هؤلاء النصارى من غالية هذه الامة، كغالية الرافضة الذين يقولون انه حل بعلي بن أبي طالب وائمة أهل بيته، وغالية النساك الذين يقولون بالحلول في الاولياء ومن يعتقدون فيه الولاية، أو في بعضهم كالحلاج ويونس والحاكم ونحو هؤلاء

(والثاني) هو الاتحاد الخاص وهو قول يعقوبية النصارى وهم أخبث قولا وهم السودان والقبط، يقولون ان اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن بالماء، وهو قول من وافق هؤلاء من غالية المنتسبين الى الاسلام

(والثالث) هو الحلول العام، وهو القول الذي ذكره أئمة أهل السنة والحديث عن طائفة من الجهمية المتقدمين، وهو قول غالب متعبدة الجهمية الذين يقولون ان الله بذاته في كل مكان ويتمسكون بمتشابه القرآن كقوله (وهو الله في السموات وفي الارض) وقوله (وهو معكم) والرد على هؤلاء كثير مشهور في كلام أئمة السنة واهل المعرفة وعلماء الحديث.

(الرابع) الاتحاد العام وهو قول هؤلاء الملاحدة الذين يزعمون انه عين وجود الكائنات ،وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين: من جهة ان أولئك قالوا ان الرب يتحد بعبده الذي قربه واصطفاه بعد أن لم يكونا متحدين ، وهؤلاء يقولون ما زال الرب هو العبد وغيره من المخلوقات ليس هو غيره (والثاني) من جهة أن أولئك خصوا ذلك بمن عظموه كالمسيح وهؤلاء جعلوا ذلك ساريا في الكلاب والخنازير والقذر والاوساخ ، واذا كان الله تعالى قال (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) الآية . فكيف بمن قال ان الله هو الكفار والمنافقون والصبيان والمجانين والانجاس والانتان وكل شيء؟ واذا كان الله قد رد قول اليهود والنصارى لما قالوا (نحن أبناء الله وأحباؤه) وقال لهم (قل فلم يعذبكم بذنوبكم؟ بل أنتم بشر ممن خلق) الآية . فكيف بمن يزعم ان اليهود والنصارى هم أعيان وجود الرب الخالق ليس هو غيره ولا سواه ؟ ولا يتصور أن يعذب إلا نفسه؟ وأن كل ناطق في الكون فهو عين السامع؟ كما في قوله ﷺ « ان الله تجاوز لأمتي عما حدثت بها أنفسها » وان الناكح عين المنكوح ، حتى قال شاعرهم[1]

واعلم ان هؤلاء لما كان كفرهم في قولهم : ان الله هو مخلوقاته كلها أعظم من كفر النصارى بقولهم (ان الله هو المسيح بن مريم) فكان النصارى ضلال أكثرهم لا يعقلون مذهبهم في التوحيد إذ هو شيء متخيل لا يعلم ولا يعقل ، حيث يجعلون الرب جوهراً واحداً ثم يجعلونه ثلاثة جواهر ، ويتأولون ذلك بتعدد الخواص والاشخاص التي هي الاقانيم ، والخواص عندهم ليست جواهر ، فيتناقضون مع كفرهم ، كذلك هؤلاء الملاحدة الاتحادية ضلال أكثرهم لا يعقلون قول رءوسهم ولا يفقهونه ، وهم في ذلك كالنصارى ، كلما كان الشيخ أحمق واجهل ، كان بالله أعرف ، وعندهم أعظم ، ولهم حظ من عبادة الرب الذي كفروا به كما للنصارى. هذا مادام أحدهم

(١) سقط من الاصل هذا الشعر وقد يعرف مما سبق من أشعارهم

في الحجاب، فاذا ارتفع عن قلبه وعرف انه هو فهو بالخيار بين أن يسقط عن نفسه الامر والنهي ويبقى سدى يفعل ما أحب، وبين أن يقوم بمرتبة الامر والنهي لحفظ المراتب، وليقتدي به الناس المحجوبون، وهم غالب الخلق. ويزعمون ان الانبياء كانوا كذلك اذ عدوهم كاملين.

فصل

مذهب هؤلاء الاتحادية كابن عربي وابن سبعين والقونوي والتلمساني مركب من ثلاثة مواد: سلب الجهمية وتعطيلهم، ومجملات الصوفية، وهو ما وجد في كلام بعضهم من الكلمات المجملة المتشابهة، كما ضلت النصارى بمثل ذلك فيما يروونه عن المسيح فيتبعون المتشابه ويتركون المحكم، وأيضا كلمات المغلوبين على عقلهم الذين تكلموا في حال سكر، ومن الزندقة الفلسفة التي هي أصل التجهم، وكلامهم في الوجود المطلق والعقول والنفوس والوحي والنبوة والوجوب والامكان، وما في ذلك من حق وباطل. فهذه المادة أغلب على ابن سبعين والقونوي، والثانية أغلب على ابن عربي،، ولهذا هو أقربهم إلى الاسلام، والكل مشتركون في التجهم. والتلمساني أعظمهم تحقيقا لهذه الزندقة والاتحاد التي انفردوا بها، وأكفرهم بالله وكتبه ورسله وشرائعه واليوم الآخر

وبيان ذلك انه قال: هو في كان متجل بوحدته الذاتية، عالما بنفسه وبما يصدر عنه، وأن المعلومات باسرها كانت منكشفة في حقيقة العلم شاهدا لها.

فيقال له: قد اثبت علمه بما يصدر منه وبمعلومات يشهدها غير نفسه، ثم ذكرت أنه عرض نفسه على هذه الحقائق الكونية المشهودة المعدومة، فعند ذلك عبر «بأنا» وظهرت حقيقة النبوة التي ظهر فيها الحق واضحا، وانعكس فيها الوجود المطلق، وانه هو المسمى باسم الرحمن كما أن الاول هو المسمى باسم الله، وسقت الكلام -

الى ان قلت : وهو الان على ماعليه كان فهذا الذي علم انه يصدر عنه وكان مشهودا له معدوما في نفسه هو الحق او غيره ؟ فان كان الحق ؟ فقد لزم ان يكون الرب كان معدوما وان يكون صادرا عن نفسه ، ثم انه تناقض . وان كان غيره ، فقد جعلت ذلك الغير هو مرآة لانعكاس الوجود المطلق ، وهو الرحمن ، فيكون الخلق هو الرحمن ، فأنت حائر بين ان تجعله قد علم معدوما صدر عنه ، فيكون له غير وليس هو الرحمن ، وبين ان تجعل هذا الظاهر الواصف هو اياه وهو الرحمن ، فلا يكون معدوما ولا صادرا عنه ، واما ان تصف الشيء بخصائص الحق الخالق تاره وبخصائص العبد المخلوق تارة ، فهذا مع تناقضه كفر من اغلظ الكفر، وهو نظير قول النصارى اللاهوت الناسوت . لكن هذا اكفر من وجوه متعددة

فصل

(الوجه الاول) ان هذه الحقائق الكونية التي ذكرت انها كانت معدومة في نفسها مشهودة اعيانها في علمه في تجليه المطلق الذي كان فيه متحداً بنفسه بوحدته الذاتية ، هل خلقها وبرأها وجعلها موجودة بعد عدمها ام لم تزل معدومة ؟ فان كانت لم تزل معدومة فيجب ان لا يكون شيء من الكونيات موجوداً ، وهذا مكابرة للحس والعقل والشرع ، ولا يقوله عاقل ، ولم يقله عاقل. وان كانت صادرة موجودة بعد عدمها امتنع ان تكون هي إياه ، لان الله لم يكن معدوماً فيوجد . وهذا يبطل الاتحاد ، ووجب حينئذ ان يكون (١) به موجوداً ليس هو الله ، بل هو خلقه ومماليكه وعبيده . وهذا يبطل قولك ! وهو الآن لاشيء معه (٢) على ماعليه كان (الثاني) ان قولك تركبت الخلقة الالهية من كان الى سر شأنه ، اوقولك : ظهر

(١) كذا في الاصل ولعله : ان يكون ما صار به المعدوم موجوداً الخ

(٢) كذا في الاصل

الحق فيه ، او نحو ذلك من الالفاظ التي يطلقها هؤلاء الاتحادية في هذا الموضع مثل قولهم: ظهر الحق، وتجلى، وهذه مظاهر الحق ومجاليه ، وهذا مظهر الهي ومجلى الهي ، ونحو ذلك ــ اتعني به أن عين ذاته حصلت هناك ؟ او تعني به انه صار ظاهراً متجليا لها بحيث تعلمه ؟ او تعني به أن ظهر لخلقه بها وتجلى بها وأنه ماثم قسم رابع ؟

فان عنيت الاول ــ وهو قول الاتحادية ــ فقد صرحت بان عين المخلوقات حتى الكلاب والخنازير والنجاسات والشياطين والكفار هي ذات الله ، او هي وذات الله متحدتان ، أو ذات الله حالة فيها ، وهذا الكفر اعظم من كفر الذين قالوا (ان الله هو المسيح بن مريم * وإن الله هو ثالث ثلاثة) وان الله يلد ويولد . وان له بنين وبنات . واذا صرحت بهذا عرف المسلمون قولك فالحقوك ببني جنسك(١) فلا حاجة الى الفاظ مجملة يحسبها الظمان ماء . ويا ليته إذا جاءها لم يجدها شيئاً ، بل يجدها سما ناقعا ،

وان عنيت أنه صار ظاهراً متجليا لها فهذا حقيقة أمر صار معلوما لها ؛ ولا ريب ان الله يصير معروفا لعبده . لكن كلامك في هذا باطل من وجهين : من جهة انك جعلته معلوما للمعدومات التي لا وجود لها لكونه قد علمها ، واعتقدت انها إذا كانت معلومة يجوز أن تصير عالمة ، وهذا عين الباطل : من جهة أنه إذا علم أن الشيء سيكون لم يجز أن يكون هذا قبل وجوده عالما قادراً فاعلا . ومن جهة ان هذا ليس حكم جميع الكائنات المعلومة ، بل بعضها هو الذي يصح منه العلم

وأما إن قلت ان الله يعلم بها لكونها آيات دالة عليه ، فهذا حق ، وهو دين المسلمين

---

(١) بهذا صرح شيخ الاسلام ان غرضه من هذه الالزامات الباطلة بيان خروجهم بها عن دائرة الاسلام الذي يلبسون بادعائهم اياه على المسلمين بأنهم من أوليائه العارفين . وليس غرضه انه ألزمهم ما يلتزمونه ولا يعتقدونه

وشهود العارفين ، لكنك لم تقل هذا لوجهين (احدهما) انها لا تصير آيات الا بعد أن يخلقها ويجعلها موجودة ، لا في حال كونها معدومة معلومة، وانت لم تثبت انه خلقها ولا جعلها موجودة، ولا أنه أعطى شيئا خلقه ، بل جعلت نفسه هو هي المتجلية له

(الوجه الثاني) انك قد صرحت بانه تجلى لها وظهر لها، لا انه دل بها خالقه وجعلها آيات تكون تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . والله قد اخبر في كتابه انه يجعل في هذه المصنوعات آيات، والآية مثل العلامة والدلالة كما قال (والهكم اله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم. الى قوله. لآيات لقوم يعقلون) وتارة يسميها نفسها آية كما قال تعالى (وآية لهم الأرض الميتة احييناها) وهذا الذي ذكره الله في كتابه هو الحق.

فاذا قيل في نظير ذلك : تجلى بها وظهر بها كما يقال علم وعرف بها ، كان المعنى صحيحا لكن لفظ التجلي والظهور في مثل هذا الموضع غير مأثور . وفيه ايهام واجمال . فان الظهور والتجلي يفهم منه الظهور والتجلي للعين لاسيما لفظ التجلي وان استعماله في التجلي للعين هو الغالب . وهذا مذهب الاتحادية ، صرح به ابن عربي وقال: فلا تقع العين الا عليه (١)

واذا كان عندهم أن المرئي بالعين هو الله فهذا كفر صريح باتفاق المسلمين . بل قد ثبت في صحيح مسلم ان النبي ﷺ قال « واعلموا ان أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت » ولاسيما اذا قيل : ظهر فيها وتجلى ، فان اللفظ يصير مشتركا بين ان تكون ذاته فيها أو تكون قد صارت بمنزلة المرآة التي يظهر فيها مثال المرئي ، وكلاهما باطل . فان ذات الله ليست في المخلوقات، ولا في نفس ذاته ترى المخلوقات كما يرى المرئي في المرآة، ولكن ظهورها دلالتها عليه وشهادتها له ، وانها آيات له على نفسه وصفاته سبحانه وبحمده، كما نطق بذلك كتاب الله

---

(١) بياض في الاصل

(الوجه الثالث) ان مقارنة الالف والنون المعبر عنها « بأنا » واللفظه التي هي « حقيقة النبوة » و « الروح الاضافي » هذه الاشياء داخلة في مسمى اسمائه الظاهرة والمضمرة ام ليست داخلة في مسمى اسمائه؟ فان كان الاول فتكون جميع المخلوقات داخلة في مسمى اسماء الله، وتكون المخلوقات جزءاً من الله وصفة له، وان كان الثاني فهذه الاشياء معدومة ليس لها وجود في أنفسها ، فكيف يتصور أن تكون موجودة لا موجودة ، ثابتة لا ثابتة، منتفية لا منتفية ؟ وهذا القسم بين ، وهو أحد ما يكشف حقيقة هذا التلبيس

فان هذه الامور التي كانت معلومة له معدومة عند نزول الخلية ظهرت هذه الامور التي ذكرها ، فهذه الامور الظاهرة المعلومة بعد هذا النزول قد صارت « أنا » وحقيقة نبوة، وروحا إضافيا ، وفعل ذات، ومفعول ذات، ومعنى وسائط، فان كان جميع ذلك في الله ، ففيه كفران عظيمان : كون جميع الخلوقات جزءا من الله، وكونه متغيرا هذه التغيرات التي هي من نقص الى كمال ومن كمال الى نقص ، وان كانت خارجة من ذاته فهذه الاشياء كانت معدومة ، ولم يخلقها عندهم خارجة عنه، فكيف يكون الحال ؟

(الوجه الرابع) ان عنده حقيقة النبوة وما معها إما أن يكون شيئا قائما بنفسه، أو صفة له أو لغيره، فان كان قائما بنفسه فاما ان يكون هو الله أو غيره ، فان كان ذلك هو الله فيكون الله هو النقطة الظاهرة ، وهو حقيقة النبوة ، وهو الروح الاضافي ، وقد قال بعد هذا : انه جعل الروح الاضافي في صورة فعل ذاته ، وانه أعطى محمداً عقدة نبوته ، فيكون قد جعل نفسه صورة فعله واعطى محمداً ذاته ، وهذا مع انه من أبين الكفر وأقبحه فهو متناقض ، فمن المعطي ومن المعطى ؟ إذا كان أعطى ذاته لغيره ، وإن كانت هذه الاشياء أعيانا قائمة بنفسها وهي غير الله فسواء كانت ملائكة أوغيرها من كل ماسوى الله من الاعيان فهو خلق من خلق الله

مصنوع مربوب ، والله خالق كل شيء ، فهو قد جعل ظهور الحق وصفا ، وانه المسمى باسم الرحمن ، فيكون المسمى باسم الرحمن الواصف لنفسه مخلوقا ، وهذا كفر صريح وهو أعظم من إلحاد الذين (قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن؟) ومن إلحاد الذين قيل فيهم (وهم يكفرون بالرحمن) فان اولئك كفروا باسمه وصفته مع اقرارهم برب العالمين ، وهؤلاء أقروا بالاسم وجعلوا المسمى مخلوقا من مخلوقاته ،

واما ان كان المراد بهذه الحقيقة ومامعها صفة فاما أن تكون صفة لله أو لغيره ، فان كانت صفة لله لم يجز ان تكون هي المسمى باسم الرحمن ، فان ذلك اسم لنفس الله لا لصفاته ، والسجود لله لا لصفاته ، والدعاء لله لا لصفاته ، وان كانت صفة لغيره فهذا الالزام أعظم وأعظم

وهذا تقسيم لا محيص عنه ، فان هذا الملحد في اسماء الله جعل هذه العقدة التي سماها (عقدة حقيقة النبوة) وجعلها صورة علم الحق بنفسه ، وجعلها مرآة لانعكاس الوجود المطلق ، محلا لتميز صفاته القديمة (١) وان الحق ظهر فيه بصورته وصفته واصفا يصف نفسه ويحيط به ، وهو المسمى باسم الرحمن ، ثم ذكر انه أعطى محمداً هذه العقدة ، ومعلوم أن المسمى باسم الرحمن هو المسمى باسم الله كما قال تعالى (ادعو الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى) فيكون هو سبحانه هذه العقدة التي أعطاها لمحمد ، وان كانت صفة له أو غيره فتكون هي الرحمن ، فهذا الملحد دائر بين أن يكون الرحمن هو خلق من خلق الله أو صفة من صفاته ، وبين أن يكون الرحمن قد وهبه الله لمحمد ، وكل من القسمين من أسمج الكفر وأشنعه

(الوجه الخامس) أن قوله لهذه الحقيقه طرفان : طرف الى الحق المواجه اليها الذي ظهر فيه الوجود الاعلى واصفا ، وطرف الي ظهور العالم منه وهو

(١) قوله محلا لتميز صفاته القديمة هو المفعول الثانى لجعل

المسمى بالروح الاضافي ، فذكر في هذا الكلام ظهور الوجود وظهور العالم ، وقد تقدم أن الحق كان ولم يكن معه شيء وهو متجلي بنفسه بوحدته الذاتية ، وأنه لما نزلت الخلية ظهرت عقدة حقيقةالنبوة ، فصارت مرآةلانعكاس الوجود فظهر الحق فيه بصورة وصفة واصفا

وقد ذكر في هذا الكلام الحق المواجه اليها والوجود الاعلى الذي ظهر ، فهنا الحق والطرف الذي لها الى الحق ، فقد ذكر هنا ثلاثة أشياء : الحق ، والوجود، والطرف ، وقد جعل فيما تقدم الحق هو الوجود المطلق الذي انعكس، وهو الحق الذي ظهر فيه واصفا،فتارة يجعل الحق هو الوجود المطلق،وتارة يجعل الوجودالمطلق قد ظهر في هذا الحق ، وهذا تناقض

ثم يقال له : هذان عندك عبارةعن الرب تعالى فقد جعلته ظاهراً وجعلته مظهرا،فان عنيت بالظهور الوجود فيكون الرب قد وجد مرة بعد مرة ، وهذا كفر شنيع ، فكيف يتصور تكرر وجوده ؟ وكيف يتصور أن يكون قد وجد في نفسه بعدأن لم يكن موجوا في نفسه؟ وإن عنيت الوضوح والتجلي،وليس(١) هناك مخلوق يظهر له ويتجلى إذ العالم بعد لم يخلق ، وأنت قلت ظهر الحق فيه واصفا، وسميته الرحمن ، ولم تجعل ظهوره معلوما ولا مشهورا، فكيف يتصور ان يكون متجليا لنفسه بعد أن لم يكن متجليا ؟ فان هذا وصف له بانه لم يكن يعلم نفسه حتى علمها

وأيضا فقد قلت : انه كان متجليا لنفسه بوحدته ، فهذا كفر وتناقض

(الوجه السادس) أن هذا التحير والتناقض مثل تحير النصارى وتناقضهم في الاقانيم. فانهم يقولون : الآب والابن وروح القدس ثلاثة آلهة ، وهي إله واحد . والمتدرع بناسوت المسيح هو الابن ، ويقولون : هي الوجود ، والعلم ، والحياة ، والقدرة ،

(١) لعله فليس

فيقال لهم : إن كانت هذه صفات فليست آلهة ، ولا يتصور أن يكون المتدرع بالمسيح إلها إلا أن يكون هو الآب ، وان كانت جواهر وجب أن لا تكون إلها واحداً ، لان الجواهر الثلاثة لا تكون جوهراً واحداً . وقد يمثلون ذلك بقولنا زيد العالم القادر الحي ، فهو بكونه عالما ليس هو بكونه قادراً . فاذا قيل لهم هذا كله لا يمنع أن يكون ذاتا واحدة لها صفات متعددة وانهم لا يقولون ذلك (١)

وأيضا فالمتحد بالمسيح إذا كان إلهاً امتنع أن يكون صفة ، وانما يكون هو الموصوف . وأنتم لا تقولون بذلك ، فما هو الحق لا تقولونه وما تقولونه ليس بحق ، وقد قال تعالى (ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق) فالنصارى حيارى متناقضون ، ان جعلوا الاقنوم صفة امتنع أن يكون المسيح الها ، وإن جعلوه جوهرا امتنع أن يكون الاله واحدا ، وهم يريدون أن يجعلوا المسيح الله ويجعلوه ابن الله ، ويجعلوا الآب والابن وروح القدس الهاً واحدا . ولهذا وصفهم الله في القرآن بالشرك تارة ، وجعلهم قسما غير المشركين تارة ، لانهم يقولون الامرين وان كانوا متناقضين

وهكذا حال هؤلاء فانهم يريدون أن يقولوا بالاتحاد وانه ماثم غيره ، ويريدون أن يثبتوا وجود العالم ، فجعلوا ثبوت العالم في علمه وهو شاهد له ، وجعلوه متجليا لذلك المشهود له ، فاذا تجلى فيه كان هو المتجلي لا غيره . وكانت تلك الاعيان المشهودة هي العالم

وهذا الرجل وابن عربي يشتركان في هذا ولكن يفترقان من وجه آخر . فان ابن عربي يقول : وجود الحق ظهر في الاعيان الثابتة في نفسها . فان شئت قلت هو الحق ، وان شئت قلت هو الخلق ، وإن شئت قلت هو الحق والخلق ، وان شئت قلت لا حق من كل وجه ولا خلق من كل وجه ، وإن شئت قلت

(١) سقط جواب اذا أو ترك للعلم به : وتقديره انقطعوا

بالحيرة في ذلك . واما هذا فانه يقول : تجلى الاعيان المشهودة له ، فقد قالا في جميع الخلق مايشبه قول ملكية (١) النصارى في المسيح، حيث قالوا : بان اللاهوت والناسوت صارا جوهرا واحدا له اقنومان . وأما التلمساني فانه لا يثبت بعد ذلك بحال فهو مثل يعاقبة النصارى ، وهم أكفرهم ، والنصارى قالوا بذلك في شخص واحد ، وقالوا ان اللاهوت به يتدرع الناسوت بعد أن لم يكن متدرعا به . وهؤلاء قالوا انه في جميع العالم ، وانه لم يزل، فقالوا بعموم ذلك ولزومه ، والنصارى قالوا بخصوصه وحدوثه ، حتى قال قائلهم : النصارى انما كفروا لانهم خصصوا ، وهذا المعنى قد ذكره ابن عربي في غير موضع من الفصوص، وذكر ان انكار الانبياء على عباد الاصنام إنما كان لاجل التخصيص ، وإلا فالعارف المكمل من عبده في كل مظهر وهو العابد والمعبود ، وان عباد الاصنام لو تركوا عبادتهم لتركوا من الحق بقدر ما تركوا منها، وان موسى انما أنكر على هارون لكون هارون نهاهم عن عبادة العجل لضيق هارون وعلم موسى بانهم ماعبدوا إلا الله ، وان هارون انما لم يسلط على العجل ليعبدوا الله في كل صورة ، وان أعظم مظهر عبد فيه هو الهوى فما عبد أعظم من الهوى . لكن ابن عربي يثبت أعيانا ثابتة في العدم

وهذا ابن حمويه إنما أثبتها مشهودة في العلم فقط ، وهذا القول هو الصحيح لكن لا يتم له معه ما طلبه من الاتحاد ، ولهذا كان هو أبعدهم عن تحقيق الاتحاد والقرب إلى الاسلام ، وان كان أكثرهم تناقضا وهذيانا ، فكثرة الهذيان خير من كثرة الكفر . ومقتضى كلامه هذا انه جعل وجوده مشروطا بوجود العالم ، وان كان له وجود ما غير العالم ، كما أن نور العين مشروط بوجود الاجفان وان كان قائما بالحدقة ، فعلى هذا يكون الله مفتقراً إلى العالم محتاجا اليه كاحتياج نور العين إلى الجفنين . وقد قال الله تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير

(١) طائفة من النصارى كاليعاقبة والنسطورية وغيرها

ونحن أغنياء) الى آخر الآية . فاذا كان هذا قوله فيمن وصفه بانه فقير إلى أموالهم ليعطيها الفقر ، فكيف قوله فيمن ذاته مفتقرة إلى مخلوقاته ، بحيث لولا مخلوقاته لانتشرت ذاته وتفرقت وعدمت ، كما ينتشر نور العين ويتفرق ويعدم إذا عدم الجفن ؟ وقد قال في كتابه (إن الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا) الآية . فمن يمسك السموات ؟ وقال في كتابه (ومن آياته أن تقوم السماء والارض بامره) الآية . وقال (رفع السموات بغير عمد ترونها) وقال (وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم) لايؤده لايثقله ولا يكرثه ، وقد جاء في الحديث حديث أبي داود « ماالسموات والارض وما بينهما في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بارض فلاة ،والكرسي في العرش كتلك الحلقة في الفلاة » وقد قال في كتابه (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة) الآية . وقد ثبت في الصحاح من حديث أبي هريرة وابن عمر وابن مسعود « إن الله يمسك السموات والارض بيده » فمن يكون في قبضته السموات والارض ، وكرسيه قد وسع السموات والارض ، ولا يؤده حفظهما ، وبامره تقوم السماء والارض ، وهو الذي يمسكهما ان تزولا ، أيكون محتاجا اليهما مفتقراً اليهما ، اذا زالا تفرق وانتشر ؟ واذا كان المسلمون يكفرون من يقول : ان السموات تقله او تظله لما في ذلك من احتياجه إلى مخلوقاته ، فمن قال : انه في استوائه على العرش محتاج إلى العرش كاحتياج المحمول إلى حامله فانه كافر ؟ لان الله غني عن العالمين ، حي قيوم ، هو الغني المطلق وما سواه فقير اليه ، مع أن أصل الاستواء على العرش ثابت بالكتاب والسنة واتفاق سلف الامة وأئمة السنة ، بل هو ثابت في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل ، فكيف بمن يقول انه مفتقر الى السموات والارض ، وانه إذا ارتفعت السموات والارض تفرق وانتشر وعدم ؟ فان حاجته في الحمل إلى العرش أبعد من حاجة ذاته الى ماهو دون العرش ،

ثم يقال لهؤلاء : إن كنتم تقولون بقدم العالم وانكار انفطار السموات والارض وانشقاقهما ، وأن كنتم تقولون بحدوثهما فكيف كان قبل خلقهما ؟ هل كان منتشراً متفرقاً معدوما ، ثم لما خلقهما صار موجوداً مجتمعاً ؟ هل يقول هذا عاقل ؟ فأنتم دائرون بين نوعين من الكفر ، مع غاية الجهل والضلال ، فاختاروا أيهما شئتم : ان صور العالم لاتزال تفنى ويحدث في العالم بدلها مثل الحيوان والنبات والمعادن ، ومثل ما يحدثه الله في الجو من السحاب والرعد والبرق والمطر وغير ذلك ، فكلما عدم شيء من ذلك انتقص من نور الحق ويتفرق ويعدم بقدر ما عدم من ذلك ، وكلما زاد شيء من ذلك زاد نوره واجتمع ووجد

وأما ان عني أن نور الله باق بعد زوال السموات والارض لكن لا يظهر فيه شيء ، ـ فما الشيء الذي يظهر بعد عدم هذه الاشياء ؟ وأي تأثير للسموات والارض في حفظ نور الله ، وقد ثبت في الصحيح عن أبي موسى الاشعري عن النبي ﷺ انه قال « ان الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور — أو النار — لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه » وقال عبد الله بن مسعود « ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار ، نور السموات من نور وجهه » فقد أخبر الصادق المصدوق ان الله لو كشف حجابه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من السموات والارض وغيرهما ، فمن يكون سبحات وجهه تحرق السموات والارض وانما حجابه هو الذي يمنع هذا الاحراق ، أيكون نوره انما يحفظ بالسموات والارض ؟

(الوجه السابع) قوله فالعلويات جفنها الفوقاني ، والسفليات جفنها التحتاني ، والتفرقة البشرية في السفليات ، أهداب الجفن الفوقاني ، والنفس الكلية سوادها ، والروح الاعظم بياضها . يقال له : فاذا كان العالم هو هذه العين فالعين الاخرى أي

شيء هي ؟ وبقية الاعضاء أين هي؟ هذا لانه قولك إن عنيت بالعين المتعين، وان عنيت الذات والنفس وهو ما تعين فيه ، فقد جعلت نفس السموات والارض والحيوان والملائكة أبعاضاً من الله وأجزاءا منه ، وهذا قول هؤلاء الزنادقة والفرعونية الاتحادية الذين أتبعهم الله في الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين

فيقال له :فعلى هذا لم يخلق الله شيئاً ولاهو رب العالمين ، لانه إما أن يخلق نفسه أو غيره، فخلقه لنفسه محال وهذا معلوم بالبديهة ان الشيء لايخلق نفسه، ولهذ قال تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) يقول أخلقوا من غير خالق م هم خلقوا أنفسهم ؟ ولهذا قال جبير بن مطعم لما سمعت النبي ﷺ يقرأ هذه الآية أحسست بفؤادي قد انصدع . فقد علموا أن الخالق لايكون هو المخلوق بالبديهة وخلقه لغيره ممتنع على أصلهم لان هذه الاشياء هي أجزاء منه ليست غيراً له

(الوجه الثامن) انه جعل البشر اهداب جفن حقيقة الله وهم دائماً يزيدون وينقصون ويموتون ويحيون ،وفيهم الكافر والمؤمن والفاجر والبر،فتكون أهداب جفن حقيقة الله لاتزال مفرقة كاشرة فاسدة،ويكون المشركون واليهود والنصارى أجفان حقيقته،وقد لعن من جعلهم أبناءه على سبيل الاصطفاء فكيف بمن جعلهم من نفسه

(الوجه التاسع) انه متناقض من حيث جعل الروح بياضها والنفس الكلية سوادها والسموات الجفن الاعلى والارضون الجفن الاسفل . ومعلوم ان جفني عين الانسان محيطان بالسواد والبياض، والروح والنفس عنده هي فوق السموات والارض ليست بين السماء والارض، كما ان سواد العين وبياضها بين الجفنين ، فهذا التمثيل مع انه من اقبح الكفر ففيه من الجهالة والتناقض ماتراه

(الوجه العاشر) ان النفس الكلية اسم تلقاه عن الصابئة الفلاسفة . وأما الروح فان مقصوده بها هو الذي يسمونه العقل وهو اول الصادرات . وسماه هو روحا،وهذا بناه على مذهب الصابئة، وليس هذا من دين الحنفاء ،وقد بينا فساد

ذلك في غير هذا الموضع . لكن الصابئة الفلاسفة خير من هؤلاء فانهم يقرون بواجب الوجود الذي صدرت عنه العقول والنفوس والافلاك والارض لايجعلونه إياه وهؤلاء يجعلونها اياه. فقولهم انما ينطبق على المعطلة مثل فرعون وحزبه الذي قال (ومارب العالمين) وقال (ماعلمت لكم من اله غيري) وقال (ياهامان ابن لي صرحا لعلى ابلغ الاسباب أسباب السموات) الآية، فان فرعون يقر بوجود هذا العالم ويقول مافوقه رب ولا له خالق غيره . فهؤلاء إذا قالوا انه عين السموات والارض، فقد جحد واما جحده فرعون واقروا بما أقر به فرعون ، الا ان فرعون لم يسمه آلها ولم يقل هو الله . وهؤلاء قالوا هذا هو الله . فهم مقرون بالصانع لكن جعلوه هو الصنعة . فهم في الحقيقة معطلون، وفي اعتقادهم مقرون ، وفرعون بالعكس كان منكراً للصانع في الظاهر و كان في الباطن مقرا به . فهو أكفر منهم، وهم اضل منه واجهل . ولهذا يعظمونه جدا

(لوجه الحادي عشر) قول القائل بل هذا هو الحق الصريح التتبع، لامارى المنحرف عن مناهج الاسلام ودينه، المتحير في بيداء ضلالته وجهله. فيقال: من الذي قال هذا الحق من الاولين والآخرين؟ وهذا كتاب الله من اوله الى آخره الذي هو كلام الله ووحيه وتنزيله ليس فيه شيء من هذا ، ولا في حديث واحد عن النبي ﷺ ولا عن احد من أئمة الاسلام ومشايخه . الاعن هؤلاء المفترين على الله الذين هم في مشايخ الدين نظير جنكسخان في أمر الحرب ، فديانتهم تشبه دولته ، ولعل إقراره بالصانع خير من اقرارهم، لكن بعضهم قد يوجب الاسلام فيكون خيرا من التتار من هذا الوجه

وأما محققوهم وجمهورهم فيجوز عندهم التهود والتنصر والاسلام والاشراك ، لايحرمون شيئا من ذلك ، بل المحقق عندهم لايحرم عليه شيء ولايجب عليه شيء، ومعلوم ان التتار الكفار خير من هؤلاء ، فان هؤلاء مرتدون عن الاسلام من

أقبح أهل الردة ، والمرتد شر من الكافر الاصلي من وجوه كثيرة ، وإذا كان أبو بكر الصديق (١)

وأما ما حكاه عن الذي سماه الشيخ المحقق العالم الرباني الغوث السابع في الشدعة من انه قال : اعلم ان العالم بمجموعه حدقة عين الله التي لا تنام الخ فالكلام عليه من وجوه

(احدها) أن تسمية قائل مثل هذا القال محققا وعالما وربانيا عين الضلالة والغواية، بل هذا كلام لا تقوله لا اليهود ولا والنصارى ولا عباد الاوثان، فان كان الذي قاله مسلوب العقل كان حكمه حكم غيره في ان الله رفع عنه القلم، وان كان عاقلا فجرأة على الله الذي يقول (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا * لقد جئتم شيئا ادا * تكاد السموات يتفطرن منه) الى آخر الآيات وقال (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول - الى قوله - الظالمين) وقال (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم - الى قوله - واليه المصير) فاذا كان هذا قوله فيمن يقول انهم أبناؤه وأحباؤه، فكيف قوله فيمن يقول إنهم أهداب جفنه؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

(الوجه الثاني) أن هذا الشيخ الضال الذي قال هذا الكفر والضلال قد نقض آخر كلامه باوله ، فان لفظ العين مشترك بين الشيء وبين العضو المبصر وبين مسميات أخر، واذا قال بعين الشيء ، فهو من العين التي بمعنى النفس أي تميز بنفسه عن غيره ، فاذا قال إن العالم بمجموعه حدقة عين الله التي لا تنام فالعين هنا بمعنى البصر. ثم قال في آخر كلامه : ونعني بعين الله ما يتعين الله فيه . فهذا من العين

(١) بياض في الاصل قدر سطرين لعله ذكر فيه أمثاله المرتدين ومانعي الزكاة من العرب وكون هؤلاء شر منهم لاباحتهم ترك جميع شرائع الاسلام

بمعنى النفس ، وهذه العين ليس لها حدقة ولا أجفان ، وانما هذا بمنزلة من قال نبعت العين وفاضت وشربنا منها واغتسلنا ، ووزنتها في الميزان فوجدتها عشرة مثاقيل وذهبا خالص ، وسبب هذا أنه كثيرا ما كان يتصرف في حروف بلا معان

(الوجه الثالث) انه تناقض من وجه آخر فانه إذا كان العالم هو حدقه العين فينبغي أن يكون قد بقي من الله بقية الاعضاء غير العين ، فاذا قال في آخر كلامه: والله هو نور العين، كان الله جزءا من العين أو صفة له ، فقد جعل في أول كلامه العالم جزءا من الله، وفي آخر كلامه جعل الله جزء من العالم، وكل من القولين كفر، بل هذا أعظم من كفر الذين ذكرهم الله بقوله (وجعلوا له من عباده جزءاً ان الانسان لكفور مبين ﴿ أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين) فاذا كان الله كفر من جعل له من عباده جزءاً فكيف من جعل عباده تارة جزءا منه وتارة جعله هو جزءاً منهم؟ فلعن الله ارباب هذه المقالات وانتصر لنفسه ولكتابه ولرسوله ولعباده المؤمنين منهم

(الوجه الرابع) انه تناقض من جهة أخرى، فانه إذا قال العين: ما يتعين الله فيه، والعالم كله حدقة عينه التي لا تنام، فقد جعله متعينا في جميع العالم ، فاذا قال بعدها وهو نور العين، بقيت سائر أجزاء العين من الاجفان والاهداب والسواد والبياض لم يتعين فيها، فقد جعله متعينا فيها غير متعين فيها

(الوجه الخامس) ان نور العين مفتقر الى العين محتاج اليها لقيامه بها ، فاذا كان الله في العالم كالنور في العين وجب أن يكون محتاجا إلى العالم

واعلم ان هذا القول يشبه قول الحلولية الذين يقولون هو في العالم كالماء في الصوفة وكالحياة في الجسم ونحو ذلك، ويقولون هو بذاته في كل مكان ، وهذا قول قدماء الجهمية الذين كفرهم أئمة الاسلام . وحكى عن الجهم انه كان يقول هو مثل هذا الهواء ، أو قال هو هذا الهواء

وقوله اولا : هو حدقة عين الله ، يشبه قول الاتحادية فان الاتحادية يقولون

هو مثل الشمعة التي تتصور في صور مختلفة وهي واحدة، فهو عندهم الوجود، واختلاف احواله كاختلاف احوال الشمعة، ولهذا كان صاحب هذه المقالات متخبطا لا يستقر عند المسلمين الموحدين المخلصين، ولا هو عند هؤلاء الملاحدة الاتحادية من محققيهم العارفين. فان هؤلاء كلهم من جنس النصيرية والاسماعيلية، مقالات هؤلاء في الرب من جنس مقالات أولئك، وأولئك فيهم التمسك بالشريعة وفيهم التخلي عنها، وهؤلاء كذلك، لكن أولئك أحذق في الزندقة، وهم يعلمون انهم معطلون مثل فرعون، وهؤلاء جهال يحسبون انهم يحسنون صنعا

(الوجه السادس) قوله من العلويات والسفليات لو ارتفعت لانبسط نور الله تعالى بحيث لا يظهر فيه شيء أصلا . وهذا كلام مجمل، ولا ريب ان قائل هذه المقالة من المذبذبين بين الكافرين والمؤمنين ، لاهو من المؤمنين ولا من الاتحادية المحضة، لكنه قد لبس الحق بالباطل، وذلك ان الاتحادية يقولون ان عين السموات والارض لو زالت لعدم الله ، واللفظ يصرح به بعضهم ، واما غالبهم فيشيرون اليه إشارة وعوامهم لا يفهمون هذا من مذهب الباقين فان، هؤلاء من جنس القرامطة والباطنية ،وأولئك انما يصل الى البلاغ الاكبر الذي هو آخر المراتب خواصهم. ولهذا حدثني بعض أكابر هؤلاء الاتحادية عن صاحب هذه المقالة انه كان يقول ليس بين التوحيد والالحاد الا فرق لطيف. فقلت له : هذا من أبطل الباطل، بل ليس بين مذهبين من الفرق أعظم مما بين التوحيد والالحاد . وهذا قاله بناء على هذا الخلط واللبس الذي خلطه، مثل قوله ان العلويات والسفليات لو ارتفعت لانبسط نور الله بحيث لا يظهر فيه شيء

فيقال له : إذا ارتفعت العلويات والسفليات فما تعني بانبساطه ؟ اتعني تفرقه وعدمه كما يتفرق نور العين عند عدم الاجفان ؟ أم تعني انه ينبسط شيء موجود؟

وما الذي ينبسط حينئذ ؟ هو نفس الله أم صفة من صفاته ؟ وعلى أى شيء ينبسط ؟ وما الذي يظهر فيه أولا يظهر ؟

فان عنيت الاول وهو مقتضى اول كلامك، لانك قلت: وإنما قلنا ان العلويات والسفليات اجفان عين الله لانهما يحافظان على ظهور النور ، فلو قطعت اجفان عين الانسان لتفرق نور عينه وانتشر بحيث لا يرى شيئا أصلا، فكذلك العلويات والسفليات لو ارتفعت لانبسط نور الله بحيث لا يظهر فيه شيء أصلا.

وقد قلت : ان الله هو نور العين والروح الاعظم بياضها والنفس الكلية سوادها. ومعلوم ان نور العين على ماذكرته بشرط وجوده هو الاجفان، فاذا ارتفع الشرط ارتفع المشروط، فيكون العالم عندك شرطا في وجود الله، فاذا ارتفع العالم ارتفعت حقيقة الله لانتفاء شرطه، وإن أثبت له ذاتا غير العالم فهذا أحد قولي الاتحادية ، فانهم تارة يجعلون وجود الحق هو عين وجود المخلوقات ليس غيرها. وعلى هذا فلا يتصور وجوده مع عدم المخلوقات، وهذا تعطيل محض للصانع، وهو قول القونوي والتلمساني ، وهو قول صاحب الفصوص في كثير من كلامه ، وتارة يجعلونه وجودا قائما بنفسه، ثم يجعلون نفس ذلك الوجود هو أيضا وجود المخلوقات بمعنى انه فاض عليها . وهذا أقل كفرا من الاول ، وان كان كلاهما من اغلظ الكفر وأقبحه.

وفي كلام صاحب الفصوص وغيره في بعض المواضع ما يوافق هذا القول. وكذلك كلام هذا فانه قد يشير الى هذا المعنى

ثم مع ذلك هل يجعلون وجوده مشروطا بوجود العالم فيكون محتاجا الى العالم اولا يجعلون ؟ قد يقولون هذا وقد يقولون هذا

(السابع) انهم يمدحون الضلال والحيرة والظلم والخطا والعذاب الذي عذب الله به الامم، ويقلبون كلام الله وكلام رسوله قلبا يعلم فساده بضرورات العقول، مثل قول صاحب الفصوص: لو ان نوحا جمع لقومه بين الدعوتين لاجابوه، فدعاهم جهارا، ثم دعاهم

اسرارا ـ الى أن قال: وذكرعن قومه انهم تصاموا عن دعوته، لعلمهم بما يجب عليهم من اجابة دعوته، فعلم العلماء بالله ماأشار اليه نوح في حق قومه من الثناء عليهم بلسان الذم، وعلم انهم انما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان، والامر قرآن لافرقان ومن أقيم في القرآن لايصغي الى الفرقان وان كان فيه.

فيمدحون ويحمدون ماذمه الله ولعنه ونهى عنه، ويأتون من الافك والفرية على الله والالحاد في اسماء الله وآياته بما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا* كقول صاحب الفصوص في فص نوح:

(مما خطيئاتهم أغرقوا) فهي التي خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله وهو الحيرة (فأدخلوا ناراً) في عين الماء في المحمديين (فاذا البحار سجرت ـ سجرت التنور اذا أوقدته (فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا) فكان الله عين انصارهم، فهلكوا فيه الى الابد، فلو اخرجهم الى السيف سيف الطبيعة لنزلوا عن هذه الدرجة الرفيعة، وإن كان الكل لله وبالله بل هو الله (قال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين) الذين استغشوا ثيابهم وجعلوا أصابعهم في آذانهم، طلبا للستر لانه دعاهم ليغفر لهم، والغفر الستر (دياراً) أحداً حتى تعم المنفعة كما عمت الدعوة (إنك إن تذرهم) أي تدعهم وتتركهم (يضلوا عبادك) أي يحيروهم ويخرجوهم من العبودية، إلى مافيهم من اسرار الربوبية، فينظروا انفسهم أربابا، بعد ما كانوا عند انفسهم عبيداً، فهم العبيد الارباب (ولايلدوا) أي ماينتجون ولايظهرون (الافاجراً) أي مظهرماستر (كفارا) أي ساترا ماظهر بعدظهوره، فيظهرون ماستر ثم يسترون بعدظهوره. فيحار الناظر، ولا يعرف قصد الفاجر في فجوره ولا الكافر في كفره، والشخص واحد (رب اغفرلي) أي استرني واستر مراحلي، فيجهل مقامي وقدري كما جهل قدرك في قولك «وما قدروا الله حق قدره» (ولوالدي) أي من كنت نتجه عنهما وهما العقل والطبيعة (ولمن دخل بيتي) أي قلبي (مؤمنا) مصدقا بما يكون فيه من الاخبار الالهية وهو ما

حدثت به أنفسها (وللمؤمنين) من العقول (والمؤمنات) من النفوس (ولا تزد الظالمين) من الظلمات أهل العنت المكتنفين داخل الحجب الظلمانية (الا تبارا) أي هلاكا، فلا يعرفون نفوسهم، لشهودهم وجه الحق دونهم . اه

وهذا كله من أقبح تبديل كلام الله وتحريفه ، ولقد ذم الله أهل الكتاب في القرآن على ماهو دون هذا ، فانه ذمهم على انهم حرفوا الكلم عن مواضعه وانهم (يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) وهؤلاء قد حرفوا كلام الله عن مواضعه أقبح تحريف ، وكتبوا كتب النفاق والالحاد بايديهم وزعموا انها من عند الله ، تارة يزعمون انهم يأخذون من حيث يأخذ الملك الذي يوحي به إلى النبي، فيكون فوق النبي بدرجة، وتارة يزعمون انهم يأخذون من حيث يأخذ الله، فيكون أحدهم في عمله بنفسه بمنزلة علم الله به، لان الاخذ من معدن واحد، وتارة يزعم أحدهم أن النبي ﷺ أعطاه في منامه هذا النفاق العظيم ، والالحاد البليغ، وأمره ان يخرج به إلى أمته وانه أبرزه كما حدّ له رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان، وكان جماعة من الفضلاء - حتى بعض من خاطبني فيه وانتصر له - يرى أنه كان يستحل الكذب ، ويختارون أن يقال كان يتعمد الكذب ، وان ذلك هو أهون من الكفر، ثم صرحوا بان مقالته كفر . وكان ممن يشهد عليه بتعمد الكذب غير واحد من عقلاء الناس وفضلائهم من المشايخ والعلماء

ومعلوم ان هذا من أبلغ الكذب على الله ورسوله وانه من أحق الناس بقوله (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شيء) وكثير من المتنبئين الكذابين كالمختار بن أبي عبيد وأمثاله لم يبلغ كذبهم وافتراؤهم إلى هذا الحد، بل مسيلمة الكذاب لم يبلغ كذبه وافتراؤه إلى هذا الحد، وهؤلاء كلهم كان يعظم النبي ﷺ ويقر له بالرسالة ، لكن كان يدعي انه رسول آخر، ولا ينكر وجود الرب

ولا ينكر القرآن في الظاهر، وهؤلاء جحدوا الرب واشركوا به كل شيء وافتروا هذه الكتب التي قد يزعمون انها أعظم من القرآن، ويفضلون نفوسهم على النبي ﷺ من بعض الوجوه، كما قد صرح به صاحب الفصوص عن خاتم الاولياء

وحدثني الثقة عن الفاجر التلمساني انه كان يقول: القرآن كله شرك ليس فيه توحيد وانما التوحيد في كلامنا

واما الضلال والحيرة فما مدح الله ذلك قط ولا قال النبي ﷺ « زدني فيك تحيراً » ولم يرو هذا الحديث أحد من أهل العلم بالحديث، ولا هو في شيء من كتب الحديث، ولا في شيء من كتب من يعلم الحديث، بل ولا من يعرف الله ورسوله، وكذلك احتجاجه بقوله (كلما اضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا) وإنما هذا حال المنافقين المرتدين، فان الضلال والحيرة مما ذمه الله في القرآن، قال الله تعالى في القرآن (قل اندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران) الآية

وهكذا يريد هؤلاء الضالون المتحيرون أن يفعلوا بالمؤمنين، يريدون أن يدعوا من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم، وهى المخلوقات والاوثان والاصنام وكل ماعبد من دون الله، ويريدون أن يردوا المؤمنين على أعقابهم، يردونهم عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، ويصيروا حائرين ضالين كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى: ائتنا وقال تعالى (ونقلب افئدتهم وأبصارهم ــ الى قوله ــ يعمهون) أى يحارون ويترددون وقال تعالى (إهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين انعمت عليهم * غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فامر بان نسأله هداية الصراط المستقيم صراط الذين انعم عليهم المغايرين للمغضوب عليهم وللضالين. وهؤلاء يذمون الصراط المستقيم ويمدحون طريق أهل الضلال والحيرة، مخالفة لكتب الله ورسله، ولما فطر الله عليه عباده من العقول والالباب

فصل

﴿ في ذكر بعض ألفاظ ابن عربي التي تبين ما ذكرنا من مذهبه، فان أكثر الناس قد لا يفهمونه ﴾

قال في فص يوسف — بعد أن جعل العالم بالنسبة إلى الله كظل الشخص، وتناقض في التشبيه: فكل ماتدركه فهو وجود الحق في أعيان الممكنات، فمن حيث هوية الحق هو وجوده، ومن حيث اختلاف الصور فيه هو أعيان الممكنات، فكما لايزول عنه باختلاف الصور اسم الظل، كذلك لايزول عنه باختلاف الصور اسم العالم أو اسم سوى الحق، فمن حيث أحدية كونه ظلا هو الحق، لانه الواحد الأحد، ومن حيث كثرة الصور هو العالم، فتفطن وتحقق ما أوضحناه لك. وإذا كان الامر على ما ذكرته لك فالعالم متوهم ماله وجود حقيقي، وهذا معنى الخيال، أي خيل لك انه أمر زائد قائم بنفسه خارج عن الوجود الحق، وليس كذلك في نفس الامر. ألا تراه في الحس متصلا بالشخص الذي امتد عنه يستحيل عليه الانفكاك عن ذلك الاتصال، لانه يستحيل على الشيء الانفكاك عن ذاته، فاعرف عينك ومن أنت وما هويتك؟ وما نسبتك إلى الحق وبما أنت حق وبما أنت عالم وسوى وغير؟ وماشا كل هذه الالفاظ

وقال في أول الفصوص بعد (فص حكمة آلهية في كلمة آدمية) وهو (فص حكمة نفثية، في كلمة شيثية) وقد قسم العطاء بأمر الله وانما يكون عن سؤال وعن غير سؤال وذكر القسم الذي لانسان[1] لان شيثاً هو هبة الله — إلى أن قال:

«ومن هؤلاء من يعلم أن علم الله به في جميع أحواله هو ما كان عليه في حال ثبوت

---

(١) كذا في الاصل وهو محرف أو سقط منه شيء والكلام في فص شيت هذا يقتضي ان المراد أول انسان حصل له العلم بالنفث الملكي في الروع هو شيث وهو علة تسميته. والشيخ أشار الى مقدمة هذا الفص اشارة مجملة لان غرضه ما بعدها

عينه قبل وجودها ويعلم ان الحق لا يعطيه إلا ماأعطاه عينه من العلم به ، وهو ماكان عليه في حال ثبوته، فيعلم علم الله به من أين حصل، ومائم صنف من اهل الله أعلا وأكشف من هذا الصنف، فهم الواقفون على سر القدر ، وهم على قسمين : منهم من يعلم ذلك مجملا ، ومنهم من يعلم ذلك مفصلا ، والذي يعلمه مفصلا أعلا وأتم من الذي يعلمه مجملا، فانه يعلم ماتعين في علم الله فيه، إما باعلام الله إياه بما أعطاه عينه من العلم به، وإما بأن يكشف له عن عينه الثابتة وعن انتقالات الاحوال عليها إلى ما لا يتناهى، وهو أعلا ، فانه يكون في علمه بنفسه بمنزلة علم الله به، لان الأخذ من معدن واحد، الا انه من جهة العبد عناية من الله سبقت له هي من جملة أحوال عينه يعرفها صاحب هذا الكشف إذا أطلعه الله على ذلك (اي على احوال عينه) فانه ليس في وسع المخلوق اذا أطلعه الله على احوال عينه الثابتة التي تقع صورة الوجود عليها ان يطلع في هذه الحال على اطلاع الحق على هذه الاعيان الثابتة في حال عدمها، لانها نسب ذاتية لا صورة لها ، فبهذا القدر نقول: ان العناية الالهية سبقت لهذا العبد بهذه المساواة في إفادتها العلم ، ومن هنا يقول (الله حتى نعلم) وهي كلمة محققة المعنى ، ماهي كما يتوهم من ليس له هذا المشرب، وغاية المنزه ان يجعل ذلك الحدوث في العلم للتعلق ، وهو أعلا وجه يكون للمتكلم بعقله في هذه المسئلة، لولا انه أثبت العلم زائداً على الذات فجعل التعلق له لا للذات، وبهذا انفصل عن المحقق من اهل الله صاحب الكشف والوجود.

ثم نرجع الى الاعطيات فنقول : إن الاعطيات إما ذاتية أو اسمائية ، فأما المنح والهبات والعطايا الذاتية فلا تكون ابداً الا عن تجلى إلهي، والتجلي من الذات لا يكون ابداً الا لصورة استعداد العبد المتجلى له ، وغير ذلك لا يكون، فاذن المتجلى له مارأى سوى صورته في مرآة الحق وما رأى الحق ولا يمكن ان يراه مع علمه انه مارأى صورته إلا فيه ، كالمرآة في الشاهد إذا رأيت الصور فيها لا تراها مع علمك انك ما رأيت الصور أو صورتك إلا فيها ، فا برز الله ذلك مثالا نصبه لتجليه

الذاتي، ليعلم المتجلى له انه مارآه، وما ثم مثال اقرب ولا أشبه بالرؤية والتجلي من هذا، واجهد في نفسك عند ماترى الصورة في المرآة ان ترى جرم المرآة لاتراه ابداً ألبتة، حتى ان بعض من أدرك مثل هذا في صور المرئي ذهب الى ان الصورة المرئية بين بصر الرائي وبين المرآة، هذا اعظم ما قدر عليه من العلم، والامر كما قلناه وذهبنا اليه . وقد بينا هذا في الفتوحات المكية ، واذا ذقت هذا ذقت الغاية التي ليس فوقها غاية في حق المخلوق، فلا تطمع ولا تتعب نفسك في ان ترقى أعلا من هذا الدرج فما هو ثم اصلا وما بعده الا العدم المحض، فهو مرآتك في رؤيتك نفسك ، وأنت مرآته في رؤيته اسماءه وظهور أحكامها ، وليست سوى عينه فاختلط الامر وانبهم ، فمنا من جهل في علمه فقال * والعجز عن درك الادراك ادراك *(١) ومنا من علم فلم يقل مثل هذا القول وهو أعلا القول ، بل اعطاه العلم السكوت ما اعطاه العجز ، وهذا هو اعلا عالم بالله .

وليس هذا العلم الا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء ، وما يراه احد من الانبياء والرسل الا من مشكاة الرسول الخاتم، ولا يراه أحد من الاولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم، حتى ان الرسل لايرونه متى رأوه إلا من مشكاة خاتم الاولياء ، فان الرسالة والنبوة ـ أعني نبوة التشريع ورسالته ـ ينقطعان، والولاية لاتنقطع أبداً . والمرسلون من حيث كونهم أولياء لايرون ماذكرناه إلا من مشكاة خاتم الاولياء ، فكيف من دونهم من الاولياء ، وإن كان خاتم الاولياء تابعاً في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع ، فذلك لا يقدح في مقامه ولا يناقض ماذهبنا اليه، فانه من وجه يكون أنزل، كما انه من وجه يكون أعلا . وقد ظهر في ظاهر شرعنا مايؤيد ماذهبنا اليه في فضل عمر في أسارى بدر بالحكم فيهم ، وفي

---

(١) هذا القول منسوب الى الصديق الا كبر أبي بكر (رض) وابن عربي يفضل نفسه عليه في العلم بالله كما ترى بعده ويدعى انه مساو لرسول الله ﷺ بل يفضل نفسه عليه من بعض الجهات

تأبير النخل . فما يلزم الكامل أن يكون له التقدم في كل شيء، وفي كل مرتبة . وانما نظر الرجال الى التقـدم في مرتبـة العلم بالله ، هنالك مطلبهم، وأما حوادث الاكوان فلا تعلق لخواطرهم بها، فتحقق ما ذكرناه

« ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبن وقد كمل سوى موضع لبنة فكان النبي ﷺ تلك اللبنة، غير انه ﷺ لا يراها الا كما قال لبنة واحدة . وأما خاتم الاولياء فلابد له من هذه الرؤية ما مثل به رسول الله ﷺ فيرى في الحائط موضع لبنتين واللبن من ذهب وفضة فيرى اللبنتين اللتين ينقص الحائط عنهما ويكمل بهما لبنة ذهب ولبنة فضة، فلا بد من أن يري نفسه تنطبع في موضع تينك اللبنتين فيكون خاتم الاولياء تينك اللبنتين ، ليكمل الحائط

«والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين انه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر، وهو موضع اللبنة الفضة وهو ظاهره وما يتبعه فيه من الاحكام ، كما هو آخذ عن الله تعالى في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه ، لانه رأى الامر على ما هو عليه ، فلا بد أن يراه هكذا وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن، فانه آخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به الى الرسول .

«فان فهمت ما أشرت به فقد حصل لك العلم النافع. فكل نبي من لدن آدم الى آخر نبي ما منهم أحد يأخذ الا من مشكاة خاتم النبيين وان تأخر وجود طينته، فانه بحقيقته موجود ،وهو قوله ﷺ « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» وغيره من الانبياء ما كان نبيا الا حين بعث . وكذلك خاتم الاولياء كان وليا وآدم بين الماء والطين، وغيره من الاولياء ما كان وليا الا بعد تحصيله شرائط الولاية من الاخلاق الآلهية والاتصاف بها من اجل كون الله يسمى بالولي الحميد

«فخاتم الرسل من حيث ولايته نسبته مع الختم للولاية مثل نسبة الانبياء والرسل

معه ، وانه الولي الرسول النبي . وخاتم الاولياء الولي الوارث الآخذ عن الاصل المشاهد المراتب وهو حسنة من حسنات خاتم الرسل محمد ﷺ ، مقدم الجماعة ، وسيد ولد آدم في فتح باب الشفاعة . فعين بشفاعته حالا خاصا عم . وفي هذه الحال الخاص تقدم على الاسماء الآلهية . فان الرحمن ماشفع عند المنتقم في أهل البلاء الا بعد شفاعة الشافعين ، ففاز محمد بالسيادة في هذا المقام الخاص

« فمن فهم المراتب والمقامات لم يعسر عليه قبول مثل هذا الكلام » اه

*

فهذا الفص قد ذكر فيه حقيقة مذهبه التي يبنى عليها سائر كلامه فتدبر مافيه من الكفر الذي (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا) وما فيه من جحد خلق الله وامره ، وجحود ربوبيته وألوهيته وشتمه وسبه ، وما فيه من الازراء برسله وصديقيه والتقدم عليهم بالدعاوي الكاذبة ، التي ليس عليها حجة ، بل هي معلومة الفساد بادنى عقل وإيمان ، وأيسر مايسمع من كتاب وقرآن ، وجعل الكفار والمنافقين والفراعنة هم أهل الله وخاصته أهل الكشوف وذلك باطل من وجوه

(إحداها) انه أثبت له عينا ثابتة قبل وجوده ولسائر الموجودات وإن ذلك ثابت له ولسائر أحواله وكل ما كان موجودا من الاعيان والصفات والجواهر والاعراض فعينه ثابتة قبل وجوده . وهذ ضلال قد سبق اليه كما تقدم

(الثاني) انه جعل علم الله بالعبد انما حصل له من علمه بتلك العين الثابتة في العدم التي هي حقيقة العبد ، لا من نفسه المقدسة ، وأن علمه بالاعيان الثابتة في العدم واحوالها تمنعه أن يفعل غير ذلك . وأن هذا هو سر القدر . فتضمن هذا وصف الله تعالى بالفقر الى الاعيان وغناها عنه ، ونفي ما استحقه بنفسه من كمال علمه وقدرته ، ولزوم التجهيل والتعجيز ، وبعض ما في هذا الكلام المضاهاة لما ذكره الله عمن قال (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن اغنياء) الآية ، فانه جعل حقائق الاعيان الثابتة في العدم غنية عن الله في حقائقها وأعيانها ، وجعل الرب

مفتقرا اليه في علمه بها، فما استفاد علمه بها الا منها، كما يستفيد العبد العلم بالمحسوسات من إدراكه لها، مع غنى تلك المدركات عن المدرك . والمسلمون يعلمون ان الله عالم بالاشياء قبل كونها بعلمه القديم الازلي الذي هو من لوازم نفسه المقدسة لم يستفد علمه بها منها (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) فقد دلت هذه الآية على وجوب علمه بالاشياء من وجوه انتظمت البراهين المذكورة لاهل النظر والاستدلال القياسي العقلي من أهل الكلام والفلسفة وغيرهم

(أحدها) انه خالق لها والخلق هو الابداع بتقدير، وذلك يتضمن تقديرها في العلم قبل كونها في الخارج

(الثاني) أن ذلك مستلزم للارادة والمشيئة، والارادة مستلزمة لتصور المراد والشعور به ، وهذه الطريقة المشهورة عند اكثر أهل الكلام

(الثالث) انها صادرة عنه وهو سببها التام والعلم باصل الامر وسببه يوجب العلم بالفرع المسبب. فعلمه بنفسه مستلزم العلم بكل ما يصدر عنه

(الرابع) انه في نفسه لطيف يدرك الدقيق ، خبير يدرك الخفي، وهذا هو مقتضي العلم بالاشياء ، فيجب وجود المقتضى لوجود السبب التام ، فهو في علمه بالاشياء مستغن بنفسه عنها كما هو غني بنفسه في جميع صفاته. ثم إذا رأى الاشياء بعد وجودها وسمع كلام عباده ونحو ذلك فانما يدرك ما أبدع وما خلق وما هو مفتقر اليه ومحتاج من جميع وجوهه، لم يحتج في علمه وادراكه الى غيره البتة. فلا يجوز القول بان علمه بالاشياء استفاده من نفس الاشياء الثابتة الغنية في ثبوتها عنه

وأما جحود قدرته فلانه جعل الرب لا يقدر الا على تجليه في تلك الاعيان الثابتة في العدم الغنية عنه، فقدرته محدودة بها مقصورة عليها مع غناها عنه وثبوت حقائقها بدونه. وهذا عنده هو السر الذي اعجز الله أن يقدر على غير ما خلق، فلا يقدر عنده على أن يزيد في العالم ذرة ولا ينقص منه ذرة ، ولا يزيد في المطر قطرة

ولا ينقص منه قطرة،ولا يزيد في طول الانسان ولا ينقص منه ، ولايغير شيئ من صفاته ولا حركاته ولا سكناته،ولا ينقل حجرا عن مقره، ولا يحول ماءعن ممره،ولا يهدي ضالا ولا يضل مهتديا،ولا يحرك ساكنا ولايسكن متحركا . ففي الجملة لا يقدر الا على ما وجد،لان ما وجد فعينه ثابتة في العدم ولايقدر على اكثر من ظهوره في تلك الاعيان

وهذا التجلي والتعجيز الذي ذكره وزعم انه هو سر القدر وإن كان قد تضمن بعض ما قاله غيره من الضلال ففيه من الكفر ما لا يرضاه غيره من الضالين . فان القائلين بان المعدوم شيء يقولون ذلك في كل ممكن كان أو لم يكن ، ولا يجعلون علمه بالاشياء مستفاداً من الاشياء قبل أن يكون وجودها ، ولا خلقه وقدرته مقصورة على ما علمه منها، فانه يعلم أنواعا من الممكنات لم يخلقها. فعلومه من الممكنات أوسع مما خلقه ، ولا يجعلون المانع من أن يخلق غير ما خلق هو كون الاعيان الثابتة في العدم لاتقبل سوى هذا الوجود، بل يمكن عندهم وجودها على صفة أخرى،هي أيضا من الممكن الثابت في العدم. فلايفضي قولهم لا الى تجهيل ولا إلى تعجيز من هذا الوجه. وإنما قد يقولون المانع من ذلك أن هذا هو أكمل الوجوه وأصلحها،فعلمه بانه لا أكمل من هذا يمنعه أن يريد ما ليس أكمل بحكمته فيجعلون المانع أمراً يعود الى نفسه المقدسة حتى لا يجعلونه ممنوعا من غيره،فاين من لا يجعل له مانعا من غيره ولا رادّ لقضائه ممن يجعله ممنوعا مصدودا؟ وأين من يجعله عالما بنفسه ممن يجعله مستفيداً للعلم من غيره ؟ وممن هو غني عنه؟ هذا مع أن اكثر الناس انكروا على من قال: ليس في الامكان أبدع من هذ العالم

(الثالث) انه زعم ان من الصنف الذي جعله اعلا اهل الله من يكون في علمه بمنزلة علم الله،لان الاخذ من معدن واحد اذ اكشف له عن أحوال الاعيان الثابتة في العدم فيعلمها من حيث علمها الله، الا انه من جهة العبد عناية من الله سبقت له

هي من جملة احوال عينه يعرفها صاحب هـذا الكشف اذا أطلعه الله على ذلك فجعل علمه وعلم الله من معدن واحد

(الرابع) انه جعل الله عالما بها بعد ان لم يكن عالما واتبع المتشابه الذي هو قوله: (حتى يعلم) وزعم انها كلمة محققة المعنى بناء على أصله الفاسد أن وجود العبد هو عين وجود الرب، فكل مخلوق علم مالم يكن علمه فهو الله علم مالم يكن علمه. وهذا ماسبقه اليه كافر، فان غاية المكذب بقدر الله ان يقول ان الله علم مالم يكن عالما، اما انه يجعل كل ماتجدد لمخلوق من العلم فنما تجدد لله، وأن الله لم يكن عالما بما علمه كل مخلوق حتى علمه ذلك المخلوق

(الخامس) انه زعم ان التجلي الذاتي بصورة استعداد المتجلي والمتجلى له مارأى سوى صورته في مرآة الحق، وانه لا يمكن أن يرى الحق مع علمه بانه مارأى صورته إلا فيه، وضرب المثل بالمرآة فجعل الحق هو المرآة والصورة في المرآة هي صورته

وهذا تحقيق ماذكرته من مذهبه: أن وجود الاعيان عنده وجود الحق، والاعيان كانت ثابتة في العدم، فظهر فيها وجود الحق بالمتجلى له، والعبد لايرى الوجود مجرداً عن الذوات، مايرى إلا الذوات التي ظهر فيها الوجود، فلا سبيل له إلى رؤية الوجود أبداً. وهذا عنده هو الغاية التي ليس فوقها غاية في حق المخلوق وما بعده إلا العدم المحض، فهو مرآتك في رؤيتك نفسك وأنت مرآته في رؤيته اسماءه وظهور أحكامها. وذلك لان العبد لايري نفسه التي هي عينه إلا في وجود الحق الذي هو وجوده، والعبد مرآته في رؤيته اسماءه وظهور أحكامها، لان اسماء الحق عنده هي النسب والاضافات التي بين الاعيان وبين وجود الحق، وأحكام الاسماء هي الاعيان الثابتة في العدم، وظهور هذه الاحكام بتجلي احق في الاعيان، والاعيان التي هي حقيقة العيان هي مرآة الحق التي بها يرى اسماءه وظهور أحكامها، فانه إذا ظهر في الاعيان حصلت النسبة التي بين

الوجود والاعيان وهي الاسماء ، وظهرت أحكامها وهي الاعيان ، ووجود هذه الاعيان هو الحق ، فلهذا قال وليست سوى عينه ، فاختلط الامر وانبهم .

فتدبر هذا من كلامه وما يناسبه لتعلم مايعتقده من ذات الحق واسمائه، وان ذات الحق عنده هي نفس وجود المخلوقات ، واسماءه هي النسب التي بين الوجود والاعيان ، وأحكامها هي الاعيان. لتعلم كيف اشتمل كلامه على الجحود لله ولاسمائه ولصفاته وخلقه وأمره، وعلى الالحاد في أسماء الله وآياته، فان هذا الذى ذكره غاية الالحاد في أسماء الله وآياته الآيات المخلوقة والآيات المتلوة، فانه لم يثبت له اسما ولا آية، إذ ليس إلا وجوداً واحداً وذلك ليس هو اسما ولا آية، والاعيان الثابتة ليست هي اسماءه ولا آياته، ولما اثبت شيئين فرق بينهما الوجود والثبوت وليس بينهما فرق اختلط الامر عليه وانبهم .

وهذا حقيقة قوله وسر مذهبه الذي يدعى انه به أعلم العالم بالله ، وأنه تقدم بذلك على الصديق الذي جهل فقال : العجز عن لادراك إدراك ، وتقدم به على المرسلين الذين علموا ذلك من مشكاته[1] وفيه من أنواع الكفر والضلال مايطول عدها (منها) الكفر بذات الله إذ ليس عنده إلا وجود المخلوق (ومنها) الكفر باسماء الله وأنها ليست عنده إلا أمور عدميه فاذا قلنا الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم فليس الرب عنده إلا نسبة الى[2]

(السادس) انه قال واختلط الامر وانبهم، اوهو على أصله الفاسد مختلط منبهم

(١) لانه يدعي أنه هو ختم الولاية ، وان خاتم الولاية أعلى من خاتم النبوة في الباطن ، وان كان يتبعه في الظاهر ، الخ ماتقدم، وغايته انه بلغ من غروره بما حذقه من الثرثرة بخلط النظريات الفلسفية بالخيالات الصوفية ان حاول اقناع قراء فصوصه بانه رب العالمين من حيث انه أكمل مظهر للخلق الذي هو عين الحق ، وما الرب عنده إلا نسبة اضافية بين مايسمى حقا ومايسمى خلقا وهما في نفس الامر شيء واحد

(٢) بياض في الاصل يعلم ماسقط منه مما تقدم

وعلى أصل أهل الهدى والايمان متميز متبين، قد بين الله بكتابه الحق من الباطل والهدى من الضلال .

قال : فمنا من جهل علمه فقال العجز عن درك الادراك . وهذا الكلام مشهور عندهم لنسبته إلى أبي بكر الصديق ، فجعله جاهلا وإن كان هذا اللفظ لم ينقل عن أبي بكر ولاهوماثور عنه في شيء من النقول المعتمدة، وانما ذكر إبن أبي الدنيا في كتاب الشكر نحوا من ذلك عن بعض التابعين غير مسمى، وإنما يرسل ارسالا من جهة من يكثر الخطا في مراسليهم، كما يحكون عن عمر أنه قال : كان النبي ﷺ وابو بكر إذا تخاطبا كنت كالزنجي بينهما» . وهذا أيضا كذب باتفاق أهل المعرفة ، وإنما الذي في الصحيح عن ابي سعيد الخدري قال خطبنا رسول ﷺ على المنبر «فقال ان عبداً خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختار ذلك العبد ماعندالله» فبكى أبو بكر.فقال: بل نفديك بانفسنا وأموالنا ،أو كما قال، فجعل الناس يقولون: عجبالهذا الشيخ يبكي ان ذكر رسول الله ﷺ عبداً خيره الله بين الدنيا والآخرة. فكان رسول الله ﷺ هو المخير وكان أبو بكر هو أعلمنا به . وكان أبو بكر هو أعلمهم بمراد رسول الله ﷺ ومقاصده في كلامه . وإن كانوا كلهم مشتركين في فهمه .

وهذا كما في الصحيح أنه قيل لعلي عليه السلام : هل ترك عندكم رسول الله ﷺ شيئا ؟ وفي لفظ : هل عهد اليكم رسول الله ﷺ شيئا لم يعهده إلى الناس؟ فقال «لا والذي فلق الحبة وبرا النسمة ، الا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه ، وما في هذه الصحيفة(١) وبهذا ونحوه من الاحاديث الصحيحة استدل العلماء على أن مايذكر عن علي وأهل البيت من انهم إختصوا بعلم خصهم به النبي ﷺ دون

(١) هي صحيفة علقها في سيفه كتب فيها عن النبي ﷺ أحكام الدية وفكاك الاسير وتحريم المدينة

غيرهم كذب عليهم ، مثل مايذكر منه الجفر والبطاقة والجدول ، وغير ذلك وما يأثره القرامطة الباطنية عنهم ، فانه قد كذب على جعفر الصادق رضي الله عنه مالم يكذب على غيره . وكذلك كذب على علي عليه السلام وغيره من أئمة أهل البيت رضي الله عنهم، كما قد بين هذا وبسط في غير هذا الموضع

وهكذا يكذب قوم من النساك ومدعي الحقائق على أبي بكر وغيره وأن النبي ﷺ كان يخاطبه بحقائق لا يفهمها عمر مع حضوره. ثم قد يدعون انهم عرفوها وتكون حقيقتها زندقة والحادا . وكثير من هؤلاء الزنادقة والجهال قد يحتج على ذلك بحديث ابي هريرة « حفظت عن رسول الله ﷺ جرابين اما احدهما فبثثته فيكم. وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم هذا الحلقوم» وهذا الحديث صحيح ، لكن الجراب الآخر لم يكن فيه شيء من علم الدين ومعرفة الله وتوحيده الذي يختص به أولياؤه ، ولم يكن أبو هريرة من أكابر الصحابة الذين يخصون بمثل ذلك لو كان هذا مما يخص به ، بل كان في ذلك الجراب أحاديث الفتن التي تكون بين المسلمين، فان النبي ﷺ أخبرهم بما سيكون من الفتن بين المسلمين ، ومن الملاحم التي تكون بينهم وبين الكفار. ولهذا لما كان مقتل عثمان وفتنة ابن الزبير ونحو ذلك قال ابن عمر: لو أخبركم أبو هريرة انكم تقتلون خليفتكم وتهدمون البيت(١) وغير ذلك لقلتم : كذب أبو هريرة ، فكان أبو هريرة يمتنع من التحديث باحاديث الفتن قبل وقوعها لان ذلك مما لا يحتمله رؤس الناس وعوامهم . وكذلك يحتجون بحديث حذيفة بن اليمان وانه صاحب السر الذي لا يعلمه غيره، وحديث حذيفة معروف، لكن السر الذي لا يعلمه غيره هو معرفته باعيان المنافقين الذين كانوا في غزوة تبوك .ويقال: انهم كانوا هموا

(١) بل قال أبو هريرة نفسه لو قلت لكم انكم تحرقون بيت ربكم وتقتلون ابن نبيكم لقلتم لا أكذب من أبي هريرة . وقد كان قتل الحسين عليه السلام بعد موت أبي هريرة وانما كان يخاف قطع حلقومه من بني أمية

بالفتك بالنبي ﷺ فأوحى إلى النبي ﷺ أمرهم ، فاخبر حذيفة باعيانهم . ولهذا كان عمر لا يصلي إلا على من صلى عليه حذيفة، لان الصلاة على المنافقين منهي عنها

وقد ثبت في الصحيح عن حذيفة انه لما ذكر الفتن وانه أعلم الناس بها بين ان النبي ﷺ لم يخصه بحديثها ولكن حدث الناس كلهم، قال «وكان أعلمنا احفظنا »

ومما يبين هذا أن في السنن ان النبي ﷺ كان عام الفتح قد اهدر دم جماعة: منهم عبد الله بن أبي سرح ، فجاء به عثمان إلى النبي ﷺ ليبايعه، فتوقف عنه النبي ﷺ ساعة، ثم بايعه وقال «أما كان فيكم رجل رشيد ينظر إلي وقد أمسكت عن هذا فيضرب عنقه» فقال رجل من الانصار . يارسول الله ، هلا أومأت إلي؟ فقال« ماينبغي لنبي ان تكون له خائنة الاعين» فهذا ونحوه مما يبين ان النبي ﷺ يستوي ظاهره وباطنه، لا يظهر للناس خلاف مايبطنه، كما تدعيه الزنادقة من المتفلسفة والقرامطة وضلال المتنسكة ونحوهم

(السابع) انه «قال ومنا من علم فلم يقل مثل هذا ، وهو أعلى القول ، بل أعطاه العلم والسكوت ما أعطاه العجز. وهذا هو أعلا عالم بالله. وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء، وما يراه أحد من الاولياء والرسل الا من مشكاة الرسول الخاتم ، ولا يراه أحد من الاولياء الا من مشكاة الولي الخاتم. حتى إن الرسل لا يرونه متى رأوه الا من مشكاة خاتم الاولياء . فان الرسالة والنبوة أعني نبوة التشريع ورسالته ينقطعان، والولاية لا تنقطع ابداً. فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه الا من مشكاة خاتم الاولياء فكيف من دونهم من الاولياء؟ وإن كان خاتم الاولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لا يقدح في مقامه ولا يناقض ما ذهبنا اليه، فانه من وجه يكون أنزل كما أنه من وجه يكون أعلا ــ الى قوله ــ ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبن

في هذا الكلام من أنواع الالحاد والكفر وتنقيص الانبياء والرسل ما لا تقوله لا اليهود ولا النصارى . وما اشبهه في هذا الكلام بما ذكر في قول القائل : فخر عليهم السقف من تحتهم ان هذا لا عقل ولا قرآن. وكذلك ما ذكره هنا من أن الانبياء والرسل تستفيد من خاتم الاولياء الذي بعدهم هو مخالف للعقل فان المتقدم لا يستفيد من المتأخر. ومخالف للشرع ، فانه معلوم بالاضطرار من دين الاسلام أن الانبياء والرسل أفضل من الاولياء الذين ليسوا أنبياء ولا رسلا. وقد يزعم ان هذا العلم الذي هو عنده أعلى العلم وهو القول بوحدة الوجود، وان وجود الخالق هو وجود المخلوق وهو تعطيل الصانع حقيقة وجحده، وهو القول الذي يظهره فرعون. فلم يكفه زعمه ان هذا حق ،حتى زعم انه أعلا العلم، ولم يكفه ذلك حتى زعم ان الرسل إنما يرونه من مشكاة خاتم الاولياء . فجعل خاتم الاولياء أعلم بالله من جميع الانبياء والرسل، وجعلهم يرون العلم بالله من مشكاته

ثم أخذ يبين ذلك فقال: فان الرسالة والنبوة اعني نبوة التشريع ورسالته ينقطعان والولاية لا تنقطع ابداً . فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه الا من مشكاة خاتم الاولياء ، وذلك انه لم يمكنهم أن يجعلوا بعد النبي ﷺ نبيا ورسولا فان هذا كفر ظاهر ، فزعموا انه إنما تنقطع نبوة التشريع ورسالته، يعنى وأما نبوة التحقيق ورسالة التحقيق وهي الولاية عندهم فلم تنقطع، وهذه الولاية عندهم هي أفضل من النبوة والرسالة، ولهذا قال ابن عربي في بعض كلامه:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

وقال في الفصوص في (كلمة عزيرية) «فاذا سمعت أحداً من أهل الله تعالى يقول أو ينقل اليك عنه انه قال الولاية أعلى من النبوة فليس يريد ذلك القائل إلا ما ذكرناه، أو يقول: إن الولي فوق النبي والرسول فانه يعنى بذلك في شخص واحد، وهو أن الرسول عليه السلام من حيث هو ولي اتم منه من حيث هو نبي ورسول ، لا أن

الولي التابع له أعلا منه، فان التابع لا يدرك المتبوع أبداً فيما هو تابع له فيه[١] إذ لو أدركه لم يكن تابعا له » . وإذا حوققوا على ذلك قالوا : ان ولاية النبي فوق نبوته وإن نبوته فوق رسالته ، لانه يأخذ بولايته عن الله ، ثم يجعلون مثل ولايته ثابتة لهم ، ويجعلون ولاية خاتم الاولياء أعظم من ولايته، وأن ولاية الرسول تابعة لولاية خاتم الاولياء الذي ادعوه»

وفي هذا الكلام أنواع قد بيناها في غير هذا الموضع (منها) أن دعوى المدعي وجود خاتم الاولياء على ما ادعوه باطل لا أصل له ،ولم يذكر هذا أحد من المعروفين قبل هؤلاء إلا أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم في كتاب (ختم الولاية) وقد ذكر في هذا الكتاب ماهو خطأ وغلط مخالف للكتاب والسنة والاجماع وهو رحمه الله تعالى وإن كان فيه فضل ومعرفة ومن الكلام الحسن المقبول والحقائق النافعة أشياء محمودة ففي كلامه من الخطأ ما يجب رده ومن أشنعها ماذكره في ختم الولاية، مثل دعواه فيه انه يكون في المتأخرين من درجته عند الله أعظم من درجة أبي بكر وعمر وغيرهما. ثم انه تناقض في موضع آخر لما حكى عن بعض الناس ان الولي يكون منفرداً عن الناس، فابطل ذلك واحتج بابي بكر وعمر وقال يلزم هذا أن يكون أفضل من ابي بكر وعمر، وأبطل ذلك (ومنها) انه ذكر في كتابه ما يشعر ان ترك الاعمال الظاهرة ولو أنها التطوعات المشروعة أفضل في حق الكامل ذي الاعمال القلبية وهذا أيضا خطأ عند أئمة الطريق ، فان أكمل الخلق رسول الله ﷺ وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وما زال محافظا على ما

(١) بهامش الاصل ما نصه : قوله فيما هو تابع له فيه ، كانه يريد ما يزعم من أنه تابع للنبي ﷺ في الشرع الظاهر . وأما الباطن فلا ، لانه يزعم ان خاتم الانبياء وجميع الانبياء والرسل يأخذون من مشكاته ، فهو عند نفسه أعلى منهم في ذلك . قبحه الله . انتهى من خط الشيخ أحمد بن ابراهيم بن عيسى رحمه الله

يمكنه من الاوراد والتطوعات البدنيه الى مماته (ومنها) ما ادعاه من خاتم الاولياء الذي يكون في آخر الزمان وتفضيله وتقديمه على من تقدم من الاولياء، وانه يكون معهم كخاتم الانبياء مع الانبياء . وهذا ضلال واضح . فان أفضل اولياء الله من هذه الامة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وامثالهم من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار، كما ثبت ذلك بالنصوص المشهورة . وخير القرون قرنه ﷺ كما في الحديث الصحيح « خير القرون القرن الذين بعث فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وفي الترمذي وغيره أنه قال في ابي بكر وعمر « هذان سيدا كهول أهل الجنة من الاولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين » قال الترمذي حديث حسن وفي صحيح البخاري عن علي عليه السلام انه قال له ابنه ياأبت، من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقال «يابني ابو بكر» قال: ثم من ؟ قال «ثم عمر» وروى بضع وثمانون نفسا عنه انه قال «خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر »

وهذا باب واسع وقد قال تعالى (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) وهذه الاربعة هي مراتب العباد: أفضلهم الانبياء ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون. وقد نهى النبي ﷺ ان يفضل أحدنا نفسه على يونس ابن متى مع قوله (ولا تكن كصاحب الحوت) وقوله (وهو مليم) تنبيها على ان غيره أولى أن لا يفضل أحد نفسه عليه. ففي صحيح البخاري عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال « لا يقولن أحدكم اني خير من يونس بن متى » وفي صحيح البخاري أيضا عنه قال قال رسول الله ﷺ « ما ينبغي لعبد أن يكون خيرا من يونس بن متى» وفي لفظ « أن يقول أنا خير من يونس بن متى» وفي البخاري أيضا عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال « من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب» وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ انه قال - يعني رسول الله «لا ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى» وفي الصحيحين عن ابن عباس

عن النبي ﷺ - وفي لفظ : فيما يرويه عن ربه «لا ينبغي لعبد أن يقول انا خير من يونس بن متى » وهذا فيه نهى عام

وأما مايرويه بعض الناس «لا تفضلوني على يونس بن متى» ويفسره باستواء حال صاحب المعراج وصاحب الحوت فنقل باطل وتفسير باطل . وقد قال النبي ﷺ «اثبت حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد » وأبو بكر أفضل الصديقين .

ولفظ خاتم الاولياء لا يوجد في كلام أحد من سلف الامة ولا أئمتها ولا له ذكر في كتاب الله ولا سنة رسوله. وموجب هذا اللفظ انه آخر مؤمن تقي، فان الله يقول (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) الآية(١) فكل من كان مؤمنا «تقيا» كان لله ولياً ، وهم على درجتين: السابقون المقربون وأصحاب اليمين المقتصدون، كما قسمهم الله تعالى في سورة فاطر ، وسورة الواقعة ، والانسان ، والمطففين

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ انه قال «يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به. ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت واكره مساءته ولا بدله منه» فالمتقربون إلى الله بالفرائض هم الابرار المقتصدون أصحاب اليمين، والمتقربون اليه بالنوافل التي يحبها بعد الفرائض هم السابقون المقربون، وإنما تكون النوافل بعد الفرائض . وقد قال أبو بكر الصديق في وصيته لعمر بن الخطاب «اعلم ان لله عليك حقا بالليل لا يقبله بالنهار، وحقا بالنهار لا يقبله بالليل» وانها لاتقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة

والاتحادية يزعمون ان قرب النوافل يوجب أن يكون عين الحق عين أعضائه، وأن

(١) يعني الآية التي بعد هذه المفسرة للاولياء بالمؤمنين المتقين

قرب الفرائض يوجب ان يكون الحق عين وجوده كله وهذا فاسد من وجوه كثيرة، بل كفر صريح كما بيناه في غير هذا الموضع . واذا كان خاتم الاولياء آخر مؤمن تقي في الدنيا فليس ذلك الرجل أفضل الاولياء ولا أكملهم بل أفضلهم وأكملهم سابقوهم الذين هم أخص بأفضل الرسل من غيرهم ، فانه كلما كان الولي أعظم اختصاصا بالرسول وأخذا عنه وموافقة له كان أفضل ، اذ الولي لايكون ولياً لله الا بمتابعة الرسول باطناً وظاهراً . فعلى قدر المتابعة للرسول يكون قدر الولاية لله

والاولياء وان كان فيهم محدَّث كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال «انه كان في الامم قبلكم محدَّثون فان يكن في أمتي فعمر» فهذا الحديث يدل على أن أول المحدثين من هذه الامة عمر وأبو بكر أفضل منه ، اذ هو الصديق والمحدث وان كان يلهم ويحدث من جهة الله تعالى فعليه أن يعرض ذلك على الكتاب والسنة فانه ليس بمعصوم كما قال أبو الحسن الشاذلي : قد ضمنت لنا العصمة فيما جاء به الكتاب والسنة ولم تضمن لنا العصمة في الكشوف والالهام . ولهذا كان عمر بن الخطاب وقافا عند كتاب الله وكان ابوبكر الصديق يبين أشياء تخالف مايقع له كما بين له يوم الحديبية ويوم موت النبي ﷺ ويوم قتال مانعي الزكاة وغير ذلك، وكان عمر بن الخطاب يشاور الصحابة فتارة يرجع اليهم وتارة يرجعون اليه وربما قال القول وترد عليه امرأة من المسلمين قوله وتبين له الحق فيرجع اليها ويدع قوله كما قدر الصداق، وربما يرى رأيا فيذكر له حديث عن النبي ﷺ فيعمل به ويدع رأيه وكان يأخذ بعض السنة عمن هو دونه في قضايا متعددة ، وكان يقول القول فيقال له : أصبت فيقول : مايدري عمر أصاب الحق أم أخطاه . فاذا كان هذا امام المحدثين ، فكل ذي قلب يحدثه قلبه عن ربه الى يوم القيامة هو دون عمر فليس فيهم معصوم بل الخطأ يجوز عليهم كلهم وان كان طائفة تدعي أن الولي محفوظ وهو نظير مايثبت للانبياء من العصمة، والحكيم الترمذي قد أشار إلى هذا ـ فهذا

باطل مخالف للسنة والاجماع ، ولهذا اتفق المسلمون على أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ وان كانوا متفاضلين في الهدى والنور والاصابة،ولهذا كان الصديق أفضل من المحدث ، لان الصديق يأخذمن مشكاة النبوة فلا يأخذ إلا شيئا معصوما محفوظا ، واما المحدث فيقع له صواب وخطأ ، والكتاب والسنة تميز صوابه من خطئه . وبهذا صار جميع الاولياء مفتقرين إلى الكتاب والسنة ، لابد لهم أن يزنوا جميع امورهم بآثار الرسول ، فما وافق آثارالرسول فهو الحق وما خالف ذلك فهو باطل وان كانوا مجتهدين فيه والله تعالى يثيبهم على اجتهادهم ويغفر لهم خطأهم .

ومعلوم ان السابقين الاولين أعظم اهتداء واتباعا للآثارالنبوية فهم أعظم إيمانا وتقوى. وأما آخر الاولياء فلا يحصل له مثل ماحصل لهم .

والحديث الذي يروى « مثل أمتي كمثل الغيث لايدرى أوله خير أو آخره » قد تكلم في إسناده ، وبتقدير صحته انما معناه بما في آخر الامة من يقارب أولها(١) حتى يشتبه على بعض الناس أيهما خير كما يشتبه على بعض الناس طرفا الثوب،مع القطع بأن الاول خيرمن الآخر ولهذا قال«لا يدرى»ومعلوم أن هذا السلب ليس عاما لها فانه لابد أن يكون معلوما أيهما أفضل .

ثم ان هذا خاتم الاولياء صار مرتبة موهومة لاحقيقة له وصار يدعيها لنفسه أو لشيخه طوائف ، وقد ادعاها غير واحد ولم يدعها إلا من في كلامه من الباطل مالم تقله اليهود ولا النصارى ، كما ادعاها صاحب الفصوص ، وتابعه صاحب الكلام في

---

(١) فيه معنى آخر ، وهو ان هذا الخير في المتأخر نسبي وهو ان القليل منه يعد كثيراً بالنسبة الى فساد زمنه . ويدل عليه أحاديث: منها انه عندما يجاهر الناس بالزنا في الطرق يقول قائلهم : ما ضر هذين لو استترا وراء هذا الجدار — وهو يعد كأبي بكر وعمر فيكم

الحروف ، وشيخ من أتباعهم كان بدمشق، وآخر كان يزعم انه المهدي الذي يزوج بنته بعيسى بن مريم ، وانه خاتم الاولياء . ويدعي هؤلاء وأمثالهم من الامور ما لا يصلح الا لله وحده ، كما قد يدعي المدعي منهم لنفسه أو لشيخهما ادعته النصارى في المسيح

ثم صاحب الفصوص وأمثاله بنوا الامر على أن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة ، والنبي يأخذ بواسطة الملك ، فلهذا صار خاتم الاولياء أفضل عندهم من هذه الجهة ، وهذا باطل وكذب، فان الولي لا يأخذ عن الله إلا بواسطة الرسول اليه ، وإذا كان محدثا قد ألقي اليه شيء وجب عليه أن يزنه بما جاء به الرسول من الكتاب والسنة ،

وتكليم الله لعباده على ثلاثة أوجه : من وراء حجاب كما كلم موسى ، وبارسال رسول كما أرسل الملائكة الى الانبياء ، وبالايحاء ، وهذا فيه للولي نصيب ، وأما المرتبتان الاوليان فانهما للانبياء خاصة ، والاولياء الذين قامت عليهم الحجة بالرسل لا يأخذون علم الدين إلا بتوسط رسل الله اليهم ولولم يكن الا عرضه على ماجاء به الرسول(١) ولن يصلوا في أخذهم عن الله الى مرتبة نبي أو رسول، فكيف يكونون آخذين عن الله بلا واسطة ويكون هذا الاخذ أعلى وهم لا يصلون الى مقام تكليم موسى ولا الى مقام نزول الملائكة عليهم كما نزلت على الانبياء ، وهذا دين المسلمين واليهود والنصارى

وأما هؤلاء الجهمية الاتحادية فبنوا على اصلهم الفاسد : ان الله هو الوجود المطلق الثابت لكل موجود ، وصار ما يقع في قلوبهم من الخواطر ـ وان كانت

(١) كذا ولعل جواب لو سقط من الناسخ أو حذف للعلم به . وفيه أنهم يعترفون بهذا الاخذ لاحكام التشريع الظاهرة دون الحقائق الباطنة التي يدعونها ويطلقونها على فلسفتهم وخيالاتهم الباطلة

من وساوس الشيطان - يزعمون انهم أخذوا ذلك عن الله بلا واسطة ، وانهم يكلّمون كما كلم موسى بن عمران ، وفيهم من يزعمون ان حالهم أفضل من حال موسى ابن عمران، لان موسى سمع الخطاب من الشجرة وهم على زعمهم يسمعون الخطاب من حي ناطق كما يذكر عن صاحب الفصوص انه قال:

وكل كلام في الوجود كلامه   سواء علينا نثره ونظامه

وأعانهم على ذلك ما اعتقدوه من مذاهب الجهمية وأتباعهم الذين يزعمون أن تكليم الله لموسى انما كان من جنس الالهام، وان العبد قد يرى الله في الدنيا اذا زال عن عينه المانع اذ لا حجاب عندهم المرؤية منفصل عن العبد، وانما الحجاب متصل به ، فاذا ارتفع شاهد الحق ، وهم لا يشاهدون الا مايتمثلونه من الوجود المطلق الذي لا حقيقة له الا في أذهانهم ، ومن الوجود المخلوق . فيكون الرب المشهود عندهم الذي يخاطبهم في زعمهم لاوجود له الا في أذهانهم او لاوجود له الا وجود المخلوقات . هذا هو التعطيل للرب تعالى ولكتبه ولرسله ، والبدع دهليز الكفر والنفاق، كما ان التشيع دهليز الرفض، والرفض دهليز القرمطة والتعطيل، فالكلام الذي فيه تجهم دهليز الزندقة والتعطيل. وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ انه قال« واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت » ولهذا اتفق سلف الامة وأئمتها على أن الله يُرى في الآخرة ، وانه لا يراه أحد في الدنيا بعينه .

وفي رؤية النبي ﷺ ربه كلام معروف لعائشة وابن عباس، فعائشة أنكرت الرؤية، وابن عباس ثبت عنه في صحيح مسلم انه قال : رأى محمد ربه بفؤاده مرتين . وكذلك ذكر أحمد عن أبي ذر وغيره انه أثبت رؤيته بفؤاده. وهذا المنصوص عن ابن عباس وأبي ذر وغيرهما هو المنصوص عن أحمد وغيره من أئمة السنة ، ولم يثبت عن أحد منهم إثبات الرؤية بالعين في الدنيا ، كما لم يثبت عن أحد منهم انكار الرؤية في الآخرة ، ولكن كلا القولين تقول به طوائف من الجهمية ، فالنفي يقول به متكلمة الجهمية ،

والاثبات يقول به بعض متصوفة الجهمية كالاتحادية وطائفة من غيرهم، وهؤلاء الاتحادية يجمعون بين النفي والاثبات، كما يقول ابن سبعين : عين ما ترى ذات لا ترى، وذات لا ترى عين ما ترى . ونحو ذلك ، لان مذهبهم مستلزم الجمع بين النقيضين ، فهم يقولون في عموم الكائنات ما قالته النصارى في المسيح ، ولهذا تنوعوا في ذلك تنوع النصارى في المسيح

ومن الانواع التي في دعواهم ان خاتم الاولياء افضل من خاتم الانبياء من بعض الوجوه، فان هذا لم يقله أبو عبد الله الحكيم الترمذي ولا غيره من المشايخ المعروفين ، بل الرجل اجل قدراً وأعظم ايمانا من ان يفتري هذا الكفر الصريح ، ولكن اخطأ شبراً ، ففرعوا على خطئه ما صار كفراً.

وأعظم من ذلك زعمه ان الاولياء والرسل من حيث ولايتهم تابعون لخاتم الاولياء وأخذوا من مشكاته ، فهذا باطل بالعقل والدين، فان المتقدم لا يأخذ من المتأخر ، والرسل لا يأخذون من غيرهم . وأعظم من ذلك انه جعلهم تابعين له في العلم بالله الذي هو أشرف علومهم ، وأظهر من ذلك انه جعل العلم بالله هو مذهب أهل وحدة الوجود القائلين بان وجود المخلوق هو عين وجود الخالق

فليتدبر المؤمن هذا الكفر القبيح درجة بعد درجة . واستشهاده على تفضيل غير النبي عليه بقصة عمر وتابير النخل ، فهل يقول مسلم ان عمر كان أفضل من النبي ﷺ برأيه في الاسرى ؟ وان الفلاحين الذين يحسنون صناعة التأبير أفضل من الانبياء في ذلك ؟ ثم ما قنع بذلك حتى قال : فما يلزم الكامل أن يكون له التقدم في كل علم وكل مرتبة، وانما نظر الرجال الى التقدم في مرتبة العلم بالله ، هنالك مطلبهم —

فقد زعم انه أعلم بالله من خاتم الانبياء ، وان تقدمه عليه بالعلم بالله، وتقدم خاتم الانبياء عليه بالتشريع فقط . وهذا من أعظم الكفر الذي يقع فيه غالية المتفلسفة

وغالية المتصوفة وغالية المتكلمة الذين يزعمون انهم في الامور العلمية أكمل من الرسل، كالعلم بالله ونحو ذلك، وان الرسل انما تقدموا عليهم بالتشريع العام الذي جعل لصلاح الناس في دنياهم. وقد يقولون ان الشرائع قوانين عدلية وضعت لمصلحة الدنيا، فأما المعارف والحقائق والدرجات العالية في الدنيا والآخرة فيفضلون فيها أنفسهم وطرقهم على الانبياء وطرق الانبياء

وقد علم بالاضطرار من دين المسلمين ان هذا من أعظم الكفر والضلال، وكان من سبب جحد حقائق ما أخبرت به الرسل من أمر الايمان بالله واليوم الآخر وزعمهم ان ما يقوله هؤلاء في هذا الباب هو الحق وصاروا في أخبار الرسل، تارة يكذبونها، وتارة يحرفونها، وتارة يفوضونها، وتارة يزعمون أن الرسل كذبوا لمصلحة العموم.

ثم عامة الذين يقولون هذه المقالات يفضلون الانبياء والرسل على انفسهم الا الغالية منهم كما تقدم، فهؤلاء من شر الناس قولا واعتقاداً

وقد كان عندهم شيخ من أجهل الناس كان يعظمه طائفة من الاعاجم ويقال انه خاتم الاوليا، يزعم انه يفسر العلم بوجهين، وان النبي ﷺ انما فسره بوجه واحد وانه هو أكمل من النبي ﷺ وهذا تلقاه من صاحب الفصوص وأمثال هذا في هذه الاوقات كثير، وسبب ضلال المتفلسفة وأهل التصوف والكلام الموافقة لضلالهم، وليس هذا موضع الاطناب في بيان ضلال هذا وانما الغرض التنبيه على ان صاحب الفصوص وأمثاله قالوا قول هؤلا.

فأما كفر من يفضل نفسه على النبي ﷺ كما ذكر صاحب الفصوص فظاهر ولكن من هؤلا من لايرى ذلك ولكن يرى ان له طريقا الى الله غير اتباع الرسول، ويسوغ لنفسه اتباع تلك الطريق وان خالف شرع الرسول، ويحتجون بقصة موسى والخضر

ولا حجة فيها لوجهين (أحدهما) ان موسى لم يكن مبعوثا الى الخضر ولا

كان يجب على الخضر اتباع موسى فان موسى كان مبعوثا الى بني اسرائيل ولهذا جاء في الحديث الصحيح « ان موسى لما سلم على الخضر قال وأنى بأرضك السلام ؟ قال أنا موسى، قال: موسى بني اسرائيل ؟ قال نعم، قال انك على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه . وأنا على علم من الله علمنيه لا تعلمه » ولهذا قال نبينا ﷺ « فضلنا على الناس بخمس : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً ، فأي رجل أدركته الصلاة فعنده مسجده وطهوره ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة [1] » وقد قال تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) وقال تعالى (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً) الآية

فمحمد ﷺ رسول الله إلى جميع الثقلين :إنسهم وجنهم ، عربهم وعجمهم ، ملوكهم وزهادهم ، الاولياء منهم وغير الاولياء . فليس لأحد الخروج عن مبايعته باطنا وظاهراً ، ولا عن متابعة ماجاء به من الكتاب والسنة في دقيق ولا جليل ، لا في العلوم ولا الاعمال، وليس لأحد أن يقول له كما قال الخضر لموسى، وأما موسى فلم يكن مبعوثا إلى الخضر

(الثاني) ان قصة الخضر ليس فيها مخالفة للشريعة بل الامور التي فعلها تباح في الشريعة ، إذا علم العبد أسبابها كما علمها الخضر ، ولهذا لما بين أسبابها لموسى وافقه على ذلك ، ولو كان مخالفا لشريعته لم يوافقه بحال .

وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع. فان خرق السفينة مضمونه ان المال المعصوم يجوز للانسان أن يحفظه لصاحبه باتلاف بعضه فان ذلك خير من ذهابه بالكلية كما جاز للراعي على عهد النبي ﷺ أن يذبح الشاة التي خاف عليها الموت. وقصة الغلام مضمونها جواز قتل الصبي الصائل، ولهذا قال ابن عباس : وأما الغلمان فان كنت تعلم منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم وإلا فلا تقتلهم. وأما إقامة الجدار

(١) لم يذكر الخامسة ، وفي بعض الاحاديث هي « ونصرت بالرعب مسيرة شهر »

ففيها فعل المعروف بلا أجرة مع الحاجة إذا كان لذرية قوم صالحين

***

(الوجه الثامن) أنه قال: ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط الى آخر كلامه وهو متضمن ان العلم نوعان (أحدهما) علم الشريعة وهو يأخذه عن الله كما يأخذ النبي فانه قال والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر وهو موضع اللبنة الفضية وهو ظاهره وما يتبعه فيه من الاحكام كما هو آخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه لانه يرى الامر على ماهو عليه فلا بد ان يراه هكذا،

وهذا الذي زعمه من ان الولي يأخذ عن الله في السر مايتبع فيه الرسل كأئمة العلماء مع أتباعهم، فيه من الاتحاد ما لايخفى على من يؤمن بالله ورسله، فان هذا يدعي انه أوتي مثل ما أوتي رسل الله، ويقول انه أوحي إلي ولم يوح اليه شيء، ويجعل الرسل بمنزلة معلمي الطب والحساب والنحو وغير ذلك إذا عرف المتعلم الدليل الذي قال به معلمه فينبغي موافقته لمشاركته له في العلم لا لانه رسول وواسطة من الله اليه في تبليغ الامر والنهي . وهذا الكفر يشبه كفر مسيلمة الكذاب ونحوه ممن يدعي انه مشارك للرسول في الرسالة، وكان يقول مؤذنه أشهد أن محمداً ومسيلمة رسولا الله

(والنوع الثاني) علم الحقيقة وهو فيه فوق الرسول كما قال هو موضع اللبنة الذهبية في الباطن، فانه أخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به الى الرسول، فقد ادعى ان هـذا العلم الذي هو موضع اللبنة الذهبية وهو علم الباطن والحقيقة هو فيه فوق الرسول لانه ياخذه من حيث يأخذ الملك العلم الذي يوحي به إلى الرسول، والرسول يأخذه من الملك، وهو أخذه من فوق الملك، من حيث ياخذه الملك، وهذا فوق دعوى مسيلمة الكذاب، فان مسيلمة لم يدع انه أعلا من الرسول في علم من العلوم الالهية، وهذا ادعى انه فوقه في العلم بالله

ثم قال : فان فهمت ما أشرت به فقد حصل لك العلم النافع . ومعلوم ان هذا الكفر فوق كفر اليهود والنصارى فان اليهود والنصارى لا ترضى أن تجعل أحداً من المؤمنين فوق موسى وعيسى، وهذا يزعم هو وأمثاله ممن يدعي انه خاتم الاولياء انه فوق جميع الرسل، وأعلم بالله من جميع الرسل ، وعقلاء الفلاسفة لا يرضون بهذا وانما يقول مثل هذا غلاتهم وأهل الحق منهم الذين هم من أبعد الناس عن العقل والدين

* * *

(التاسع) قوله : فكل نبي من لدن آدم - إلى آخر الفصل - تضمن أن جميع الانبياء والرسل لا يأخذون إلا من مشكاة خاتم النبيين، ليوطن نفسه بذلك أن جميع الانبياء لا يأخذون إلا من مشكاة خاتم الاولياء ، وكلاهما ضلال، فان الرسل ليس منهم من يأخذ من آخر إلا من كان مأموراً باتباع شريعته كأنبياء بني اسرائيل والرسل الذين فيهم الذين أمروا باتباع التوراة كما قال تعالى (إنا انزلنا التوراة فيها هدى ونور) الآية

وأما ابراهيم فلم يأخذ عن موسى، وعيسى ، ونوح لم يأخذ عن ابراهيم، ونوح وابراهيم وموسى وعيسى لم يأخذوا عن محمد وان بشروا به وآمنوا به كما قال تعالى (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) الآية قال ابن عباس : ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد في أمر محمد وأخذ العهد على قومه ليؤمنن به ، ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه

* * *

(العاشر) قوله : فان تحقيقه موجود ، وهو قوله « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » بخلاف غيره من الانبياء ، وكذلك خاتم الاولياء كان ولياً وآدم بين الماء والطين . - كذب واضح مخالف لاجماع أئمة الدين ، وإن كان هذا يقوله طائفة من أهل الضلال والالحاد ، فان الله علم الاشياء وقدرها قبل أن يكونها ،

ولا تكون موجودة بحقائقها إلاحين توجد ولافرق فيذلك بين الانبياء وغيرهم، ولم تكن حقيقته ﷺ موجودة قبل أن يخلق إلا كما كانت حقيقة غيره بمعنى أن الله علمها وقدرها ، لكن كان ظهور خبره و سمه مشهوراً أعظم من غيره فانه كان مكتوباً في التوراة والانجيل وقبل ذلك ، كما روى الامام أحمد في مسنده عن العرباض بن سارية ، عن النبي ﷺ قال« إني لعبد الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك:دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي ، رأت حين ولدتني كأنها خرج منها نوراً ضاءت له قصور الشام » وحديث ميسرة الفجر:قلت يارسول الله ، متى كنت نبياً ؟ وفي لفظ متى كتبت نبياً ؟ قال « وآدم بين الروح والجسد » وهذا لفظ الحديث

وأما قوله« كنت نبياً وآدم بين الماء والطين »فلا أصل له ، لم يروه أحد من أهل العلم بالحديث بهذا اللفظ وهو باطل،فانه لم يكن بين الماء والطين إذ الطين ماء و تراب،ولكن لما خلق الله جسد آدم قبل نفخ الروح فيه كتب نبوة محمد ﷺ وقدرها، كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق « ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث اليه الملك فيؤمر بأربع كلمات،فيقال: اكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح » وروي انه كتب اسمه على ساق العرش ومصاريع الجنة (١) فاين الكتاب والتقدير من وجود الحقيقة؟ومايروي في هذا الباب من الاحاديث هو من هذا الجنس مثل كونه كان نوراً يسبح حول العرش أو كوكباً يطلع في السماء، ونحو ذلك كما ذكره ابن حمويه صاحب ابن عربي وذكر بعضه عمر الملا في وسيلة المتعبدين وابن سبعين وأمثالهم ممن يروي الموضوعات

(١) اشار بقوله « يروي » الى أن هذا ضعيف غير صحيح كالذي قبله واما « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » فانه باطل رواية ومعنى

المكذوبات باتفاق أهل المعرفة بالحديث. فان هذا المنى رووا فيه أحاديث كلها كذب حتى انه اجتمع بي قديما شيخ معظم من أصحاب ابن حمويه يسميه أصحابه سلطان الاقطاب وتفاوضنا في كتاب الفصوص وكان معظما له ولصاحبه حتى أبديت له بعض مافيه فهاله ذلك وأخذ يذكر مثل هذه الاحاديث فبينت له أن هذا كله كذب.

*
* *

(الحادي عشر) قوله : وخاتم الولاية كان ولياً وآدم بين الماء والطين ـ الى قوله ـ فخاتم الرسل من حيث ولايته نسبته مع الختم للولاية كنسبة الاولياء والرسل معه ـ الى آخر الكلام ـ ذكر فيه ماتقدم من كون رسول الله ﷺ مع هذا الختم المدعى كسائر الانبياء والرسل معه يأخذ من مشكاته العلم بالله الذي هو أعلا العلم وهو وحدة الوجود انه مقدم الجماعة وسيد ولد آدم في فتح باب الشفاعة. فعين حالا خاصا ما عم ـ الى قوله ـ ففاز محمد بالسيادة في هذا المقام الخاص اه فكذب على رسول الله ﷺ في قوله : انه قال : سيد ولد آدم في الشفاعة فقط لا في بقية المراتب » بخلاف الختم المفتري فانه سيد في العلم بالله وغير ذلك من المقامات

ولقد كنت أقول : لو كان المخاطب لنا ممن يفضل ابراهيم أو موسى أو عيسى على محمد ﷺ لكانت مصيبة عظيمة لايحملها المسلمون فكيف بمن يفضل رجلا من أمة محمد على محمد وعلى جميع الانبياء والرسل في أفضل العلوم ويدعي أنهم يأخذون ذلك من مشكاته ؟ وهذا العلم هو غاية الالحاد والزندقة. وهذا المفضل من أضل بني آدم وأبعدهم عن الصراط المستقيم، وان كان له كلام كثير ومصنفات متعددة، وله معرفة باشياء كثيرة، وله استحواذ على قلوب طوائف من أصناف المتفلسفة والمتصوفه والتكلمة والمتفقهة والعامة ، فان هذا الكلام من أعظم الكلام ضلالا عند أهل الكلام والايمان والله أعلم.

*
* *

وقد تبين ان في هذا الكلام من الكفر و التنقيص بالرسل والاستخفاف بهم والغض منهم والكفر بهم وبما جاؤا به مالا يخفى على مؤمن ، وقد حدثني أحد أعيان الفضلاء انه سمع الشيخ ابراهيم الجعبري رحمة الله عليه يقول : رأيت ابن عربي وهو شيخ نجس يكذب بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي أرسله الله. ولقدصدق فيما قال ، ولكن هذا بعض الانواع التي ذكرها من الكفر، وكذلك قول أبي محمد بن عبد السلام:هو شيخ سوء مقبوح كذاب يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجا ـ هو حق عنه لكنه بعض أنواع ماذكره من الكفر، فان قوله لم يكن قد تبين له حاله وتحقق، وإلا فليس عنده رب وعالم كما تقوله الفلاسفة الالهيون الذين يقولون بواجب الوجود، وبالعالم الممكن الوجود بل عنده وجود العالم هو وجود الله ، وهذا يطابق قول الدهرية الطبائعية الذين ينكرون وجود الصانع مطلقا ولا يقرون بوجود واجب غير العالم كما ذكر الله عن فرعون وذويه، وقوله مطابق لقول فرعون ، لكن فرعون لم يكن مقراً بالله وهؤلاء يقرون بالله، ولكن يفسرونه بالوجود الذي أقر به فرعون، فهم أجهل من فرعون وأضل ، وفرعون أكفر منهم، في كفره من العناد والاستكبار ماليس في كفرهم، كما قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) وقال له موسى (لقد علمت ماأنزل هؤلاء إلا رب السموات والارض بصائر) وجماع أمر صاحب الفصوص وذويه هدم أصول الايمان الثلاثة فان أصول الايمان : الايمان بالله والايمان برسله والايمان باليوم الآخر .

فأما الايمان بالله فزعموا ان وجوده وجود العالم ليس للعالم صانع غير العالم، وأما الرسول فزعموا انهم أعلم بالله منه ومن جميع الرسل ، ومنهم من يأخذ العلم بالله الذي هو التعطيل ووحدة الوجود :من مشكاته، وانهم يساوونه في أخذ العلم بالشريعة عن الله. وأما الايمان باليوم الآخر فقد قال :

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده وبالوعيد الحق عين تعاين
وان دخلوا دار الشقاء فانهم على لذة فيها نعيم يباين

وهذا يذكر عن بعض أهل الضلال قبله انه قال : ان النار تصير لاهلها طبيعة نارية يتمتعون بها ، وحينئذ فلا خوف ولا محذور ولا عذاب لانه أمر مستعذب ثم انه في الامر والنهي عنده الآمر والناهي والمأمور والمنهي واحد ، ولهذا كان أول ماقاله في الفتوحات المكية التي هي أكبر كتبه :

الرب حق والعبد حق ياليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك رب أو قلت رب أني يكلف ؟

وفي موضع آخر فذاك ميت ، رأيته بخطه

وهذامبني على اصله فان عنده ماثم عبد ولا وجود الا وجود الرب فمن المكلف؟ وعلى أصله هو المكلف كما يقولون ارسل من نفسه الى نفسه رسولا ، وكما قال ابن الفارض في قصيدته التي نظمها على مذهبهم وسماها نظم السلوك :

إليّ رسولا كنت مني مرسلا وذاتي بآياتي علي استدلت

ومضمونها هو القول بوحدة الوجود ومذهب ابن عربي وابن سبعين وامثالهم كما قال :

لها صلاتي بالمقام اقيمها وأشهد فيها انها لي صلت
كلانا مصل عابد ساجد الى حقيقة الجمع في كل سجدة(١)
وما كان لي صلى سواي فلم تكن صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

الى قوله :

وما زلت إياها واياي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت

ومثل هذا كثير والله اعلم .

---

(١) البيت في ديوانه الذي بين الايدي هكذا :

كلانا مصل واحد ناظر الى حقيقته بالجمع في كل سجدة

وحدثني صاحبنا الفقيه الصوفي أبو الحسن علي بن قرباص انه دخل على الشيخ قطب الدين بن القسطلاني فوجده يصنف كتابا فقال : ماهذا ؟ فقال هذا في الرد على ابن سبعين وابن الفارض وابي الحسن الجربي والعفيف التلمساني ، وحدثني عن جمال الدين بن واصل وشمس الدين الاصبهاني انهما كانا ينكران كلام ابن عربي ويبطلانه ويردان عليه وان الاصبهاني رأي معه كتابا من كتبه فقال : ان اقتنيت شيئا من كتبه فلا تجيء إلي، او ماهذا معناه . وان ابن واصل لما ذكر كلامه في التفاحة التي انقلبت عن جوار معلم معها قال: والله الذي لا إله الا هو يكذب. ولقد بر في يمينه .

وحدثني صاحبنا الفاضل أبو بكر بن سالار عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد شيخ وقته عن الامام ابي محمد بن عبدالسلام انهم سألوه عن ابن عربي، لما دخل مصر ،فقال: شيخ سوء مقبوح يقول بقدم العالم ولا يحرم فرْجا ، وكان تقي الدين يقول : هو صاحب خيال واسع . حدثني بذلك غير واحد من الفقهاء ممن سمع كلام ابن دقيق العيد . وحدثني ابن بحير عن رشيد الدين سعيد وغيره انه قال: كان يستحل الكذب، هذا احسن أحواله، وحدثني الشيخ العالم العارف كمال الدين المراغي شيخ زمانه انه لما قدم وبلغه كلام هؤلاء في التوحيد قال : قرأت على العفيف التلمساني من كلامهم شيئا فرأيته مخالفا للكتاب والسنة ، فلما ذكرت ذلك له قال القرآن ليس فيه توحيد بل القرآن كله شرك، ومن اتبع القرآن لم يصل الى التوحيد، قال فقلت له: ما الفرق عندكم بين الزوجة والاجنبية والاخت والكل واحد ؟ قال لا فرق بين ذلك عندنا وانما هؤلاء المحجوبون اعتقدوه حراما فقلنا هو حرام عليهم عندهم، وأما عندنا فما ثم حرام

وحدثني كمال الدين بن المراغي انه لما تحدث مع التلمساني في هذا المذهب قال : وكنت أقرأ عليه في ذلك فانهم كانوا قد عظموه عندنا ونحن مشتاقون

إلى معرفة فصوص الحكم فلما صار يشرحه لي اقول هذا خلاف القرآن والاحاديث، فقال ارم هذا كله خلف الباب واحضر بقلب صاف حتى تتلقى هذا التوحيد — او كما قال — ثم خاف ان اشيع ذلك عنه فجاء الي باكياً وقال استر عني ماسمعته مني

وحدثني ايضاً كمال الدين انه اجتمع بالشيخ ابي العباس الشاذلي تلميذ الشيخ ابي الحسن فقال عن التلمساني: هؤلاء كفار هؤلاء يعتقدون ان الصنعة هي الصانع، قال وكنت قد عزمت على ان ادخل الخلوة على يده فقلت أنا لا آخذ عنه هذا وانما اتعلم منه ادب الخلوة ، فقال لي: مثلك مثل من يريد ان يتقرب الى السلطان على يد صاحب الاتون والزبال فاذا كان الزبال هو الذي يقربه الى السلطان كيف يكون حاله عند السلطان ؟

وحدثنا أيضا قال قال لي قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد انما استولت التتار على بلاد المشرق لظهور الفلسفة فيهم وضعف الشريعة، فقلت له في بلادكم مذهب هؤلاء الذين يقولون بالاتحاد وهو شر من مذهب الفلاسفة ؟ فقال قول هؤلاء لايقوله عاقل بل كل عاقل يعلم فساد قول هؤلاء - يعني ان فساده ظاهر فلا يذكر هذا فيما يشتبه على العقلاء بخلاف مقالة الفلاسفة فان فيها شيئاً من المعقول وان كانت فاسدة

وحدثني تاج الدين الانباري الفقيه المصري الفاضل انه سمع الشيخ ابراهيم الجعبري يقول رأيت ابن عربي شيخا مخضوب اللحية وهو شيخ نجس يكفر بكل كتاب انزله الله ،وكل نبي ارسله الله. وحدثني الشيخ رشيد الدين بن المعلم انه قال كنت وأنا شاب بدمشق اسمع الناس يقولون عن ابن عربي والخسروشاهي ان كلاهما زنديق — او كلاما هذا معناه — وحدثني عن الشيخ ابراهيم الجعبري انه حضر ابن الفارض عند الموت وهو ينشد :

إن كان منزلتي في الحب عندكم ما قد لقيت فقد ضيعت ايامي
أمنية ظفرت نفسي بها زمنا واليوم احسبها اضغاث احلام

وحدثني الفقيه الفاضل تاج الدين الزنباري انه سمع الشيخ ابراهيم الجعبري يقول رأيت في منامي ابن عربي وابن الفارض وهما شيخان اعميان يمشيان ويتعثران ويقولان: كيف الطريق؟ اين الطريق؟ وحدثني شهاب الدين المزي عن شرف الدين بن الشيخ نجم الدين بن الحكيم عن ابيه أنه قال قدمت دمشق فصادفت موت ابن عربي فرأيت جنازته كأنما ذر عليها الرماد فرأيتها لا تشبه جنائز الاولياء — اوقال — فعلمت ان هذا ، وعن ابيه عن الشيخ اسماعيل الكوراني انه كان يقول ابن عربي شيطان، وعنه انه كان يقول عن الحريري انه شيطان، وحدثني شهاب الدين عن القاضي شرف الدين الباربلي ان اباه كان ينهاه عن كلام ابن عربي وابن الفارض وابن سبعين

فصل

في بعض مايظهر به كفرهم، وفساد قولهم . وذلك من وجوه (أحدها) ان حقيقة قولهم : ان الله لم يخلق شيئاً ولا ابتدعه ولا برأه ولا صوره ، لانه إذا لم يكن وجود إلا وجوده فمن الممتنع أن يكون خالقاً لوجود نفسه ، أو بارئاً لذاته، فان العلم بذلك من أبين العلوم وأبدهها للعقول ان الشيء لا يخلق نفسه ، ولهذا قال سبحانه (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون؟) فانهم يعلمون انهم لم يكونوا مخلوقين من غير خالق ، ويعلمون أن الشيء لا يخلق نفسه فتعين ان لهم خالقا ، وعند هؤلاء الكفار الملاحدة الفرعونية انه ماثم شيء يكون الرب قد خلقه وبرأه أو أبدعه إلا نفسه المقدسة ، ونفسه المقدسة لا تكون مخلوقة مربوبة مصنوعة مبروءة لامتناع ذلك في بدائه العقول ، وذلك من أظهر الكفر عند جميع أهل الملل، واما على رأي صاحب الفصوص فما ثم إلا وجوده والذوات الثابتة في العدم الغنية عنه ، ووجوده لا يكون مخلوقا والذوات غنية عنه فلم يخلق الله شيئا

(الثاني) ان عندهم ان الله ليس رب العالمين ولا مالك الملك اوليس الا وجوده وهو لا يكون رب نفسه ولا يكون للملك المملوك هو الملك المالك ، وقد صرحوا بهذا الكفر مع تناقضه وقالوا انه هو ملك الملك، بناء على ان وجوده مفتقر إلى ذوات الاشياء ، وذوات الاشياء مفتقرة إلى وجوده ، فالاشياء مالكة لوجوده، فهو ملك الملك

(الثالث) ان عندهم ان الله لم يرزق أحداً شيئاً، ولا أعطى أحداً شيئاً، ولا رحم أحداً ،ولا أحسن الى احد، ولا هدى احدا، ولا انعم على احد نعمة،ولا علم احداً علما ولا علم احداً البيان، وعندهم في الجملة لم يصل منه الى احد لا خير ولا شر،ولا نفع ولا ضر، ولا عطاء ولا منع ،ولا هدى ولا اضلال أصلا. وان هذه الاشياء جميعها عين نفسه ومحض وجوده . فليس هناك غير يصل اليه، ولا أحد سواه ينتفع بها، ولا عبد يكون مرزوقا أو منصوراً أو مهديا

ثم على رأي صاحب الفصوص ان هذه الذوات ثابتة في العدم ، والذوات هي احسنت واساءت ، ونفعت وضرت ، وهذا عنده سر القدر. وعلى رأي الباقين ما ثم ذات ثابتة غيره أصلا، بل هو ذام نفسه بنفسه، ولاعن نفسه بنفسه، وهو المرزوق المضروب المشتوم ، وهو الناكح والمنكوح والآكل والمأكول ،وقد صرحوا بذلك تصريحاً بيناً

(الرابع) ان عندهم أن الله هو الذي يركع ويسجد ويخضع ويعبد ويصوم ويجوع ويقوم وينام. وتصيبه الامراض والاسقام وتبتليه الاعداء ويصيبه البلاء وتشتد به اللأواء ،وقد صرحوا بذلك وصرحوا بأن كل كرب يصيب النفوس فانه هو الذي يصيبه. وانه اذا نفس الكرب فانما يتنفس عنه، ولهذا كره بعض هؤلاء الذين هم من اكفر خلق الله واعظمهم نفاقا وإلحاداً وعتواً على الله وعناداً أن يصبر الانسان على البلاء لان عندهم هو المصاب المبتلى . وقد صرحوا بأنه

موصوف بكل نقص وعيب فانه ما ثم من يتصف بالنقائص والعيوب غيره . فكل عيب ونقص وكفر وفسوق في العالم فانه هو المتصف به لامتصف به غيره . كلهم متفقون على هذا في الوجود

ثم صاحب الفصوص يقول: ان ذلك ثابت في العدم، وغيره يقول ما ثم سوى وجود الحق الذي هو متصف بهذه المعايب والمثالب

(الخامس) ان عندهم ان الذين عبدوا اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى والذين عبدوا ودا وسواع ويغوث ويعوق ونسراً. والذين عبدوا الشعرى والنجم والشمس والقمر والذين عبدوا المسيح وعزيراً والملائكة وسائر من عبد الاوثان والاصنام: قوم نوح وعاد وثمود وقوم فرعون وبني اسرائيل وسائر المشركين والعرب ماعبدوا إلا الله. ولا يتصور ان يعبدوا غير الله، وقد صرحوا بذلك في مواضع كثيرة مثل قول صاحب الفصوص في فص الكلمة النوحية:

(ومكروا مكراً كبّارا) لان الدعوة إلى الله مكر بالمدعو ، لانه ماعدم من البداية فيدعي الى الغاية (ادعوا الى الله) هنا عدة المكر (على بصيرة) فنبه أن الامر له كله فأجابوه مكراً كما دعاهم- إلى إن قال- فقالوا في مكرهم (لاتذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً) فانهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء فان الحق في كل معبود وجها خاصا يعرفه من عرفه ويجهله من جهله في المحمديين (وقضى ربك ان لا تعبدوا إلا إياه) أي حكم فالعالم يعلم من عبد وفي أي صورة ظهر حتى عبد وأن التفريق والكثرة كالاعضاء في الصورة المحسوسة وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية. فما عبد غير الله في كل معبود. فالادنى من تخيل فيه الالوهية . فلولا هذا التخيل ماعبد الحجر ولا غيره. ولهذا قال تعالى (قل سموهم) فلو سموهم لسموهم حجراً وشجراً وكوكباً. ولو قيل من عبدتم لقالوا إلها واحداً كما كانوا يقولون الله ولا الالٓه، والاعلى ماتخيل بل

قال هذا مجلى إلهي ينبغي تعظيمه فلا يقتصر . فالادنى صاحب التخيل يقول : (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) والاعلى العالم يقول (إنما إلهكم إله واحد فله اسلموا) حيث ظهر (وبشر المخبتين الذين) خبت نار طبيعتهم فقالوا « إلها » ولم يقولوا « طبيعة »

وقال أيضا في فص الهارونية : ثم قال هارون لموسى (إني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل) فتجعلني سبباً في تفريقهم ، فان عبادة العجل فرقت بينهم ، وكان فيهم من عبده اتباعا للسامري وتقليداً له ، ومنهم من توقف عن عبادته حتى يرجع موسى اليهم فيسألونه في ذلك ، فخشى هارون أن ينسب ذلك التفريق اليه ، فكان موسى أعلم بالامر من هارون لأنه علم ما عبده أصحاب العجل ، لعلمه بأن الله قد قضى أن لا يعبد إلا إياه وما حكم الله بشيء إلا وقع ، فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في انكاره وعدم اتساعه ، فان العارف من يرى الحق في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء ، فكان موسى يربي هارون تربية علم وإن كان أصغر منه في السن ، ولذلك لما قال له هارون ما قال رجع إلى السامري فقال (فما خطبك ياسامري) يعني فيما صنعت من عدولك إلى صورة العجل على الاختصاص ـ وساق الكلام ـ إلى أن قال ـ فكان عدم قوة إرداع هارون بالفعل أن تنفذ في أصحاب العجل بالتسليط على العجل كما سلط موسى عليه ـ حكمة من الله ظاهرة في الوجود ليعبد في كل صورة ، وإن ذهبت تلك الصورة بعد ذلك فما ذهبت إلا بعد ماتلبست عند عابدها بالالوهية ، ولهذا ما بقي نوع من الانواع إلا وعبد ، اما عبادة تأله ، واما عبادة تسخير ، ولا بد لمن ذلك لمن عقل ، وما عبد شيء من العالم إلا بعد التلبس بالرفعة عند العابد والظهور بالدرجة في قلبه ؛ ولذلك تسمى الحق لنا برفيع الدرجات ولم يقل رفيع الدرجة فكثر الدرجات في عين واحدة فانه قضى أن لا يعبد إلا إياه فى درجات له كثيرة مختلفة أعطت كل درجة مجلى إلهيا عبد فيها وأعظم مجلى عبد فيه وأعلاه الهوى كما قال (أفرأيت من اتخذ إلهه

هواه) فهو أعظم معبود، فانه لايعبد شيء إلا به ولا يعبد هو إلا بذاته. وفيه أقول :

وحق الهوى إن الهوى سبب الهوى ولولا الهوى في القلب ماعبد الهوى

ألا ترى علم الله بالاشياء ما أكمله كيف تم في حق من عبد هواه واتخذه إلها فقال (وأضله الله على علم) والضلالة الحيرة ، وذلك انه لما رأى هذا العابد ماعبد إلا هواه بانقياده لطاعته فيما يأمر به من عبادة من عبده من الاشخاص ، حتى إن عبادة الله كانت عن هوى أيضاً فانه لو لم يقع له في ذلك الجناب المقدس هوى وهو الارادة بمحبة ما عبد الله ولا آثره على غيره ، وكذلك كل من عبد صورة من صور العالم واتخذها إلها ما اتخذها الا بالهوى، فالعابد لا يزال تحت سلطان هواه ثم رأى المعبودات تتنوع في العابدين وكل عابد امراً ما يكفر من يعبد سواه، والذي عنده أدنى تنبه لا يحار لاتحاد الهوى بل لاحدية الهوى كما ذكر فانه عين واحدة في كل عابد (فأضله الله) أي حيره على علم بأن كل عابد ما عبد الا هواه ، ولا استعبده الا هواه ، سواء صادف الامر المشروع أو لم يصادف، والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه. ولذلك سموه كلهم إلهاً مع اسمه الخاص شجر أوحجر أوحيوان أوانسان أوكوكب أوملك هذا اسم الشخصية فيه والالوهية مرتبة تخيل العابد له أنها مرتبة معبوده وهي على الحقيقة مجلى الحق لبصر هذا العابد المتكف على هذا المعبود في هذا المجلى المختص بحجر ولهذا قال بعض من لم يعرف مقاله جهالة (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) مع تسميتهم اياهم آلهة ، كما قالوا (اجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب) فما انكروه بل تعجبوا من ذلك فانهم وقفوا على كثرة الصور ونسبة الالوهية لها، فجاء الرسول ودعاهم الى إله واحد يعرف ، ولا يشهد ايضاً بشهادتهم أنهم أثبتوه عندهم واعتقدوه في قولهم (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) لعلمهم بأن تلك الصور حجارة ، ولذلك قامت الحجة عليهم بقوله (قل سموهم) فما يسمونهم الا بما يعلمون أن تلك الاسماء لهم حقيقة. كحجر وخشب وكوكب

وأمثالها، وأما العارفون بالامر على ماهو عليه فيظهرون صورة الانكار لما عبد من الصور لان مرتبتهم في العلم تعطيهم أن يكونوا بحكم الوقت لحكم الرسول الذي آمنوا به عليهم الذي به سموا مؤمنين، فهم عباد الوقت، مع علمهم بأنهم ما عبدوا من تلك الصور أعيانها وانما عبدوا الله فيها بحكم سلطان التجلي الذي عرفوه منهم، وجهله المنكر الذي لا علم له بما يتجلى. وستره العارف المكمل من نبي أو رسول أو وارث عنهم، فأمرهم بالانتزاح عن تلك الصور لما انتزح عنها رسول الوقت اتباعاً للرسول طمعاً في محبة الله اياهم بقوله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فدعا إلى إله يصمد إليه ويعلم من حيث الجملة ولا يشهد ولا تدركه الابصار، بل هو يدرك الابصار للطفه وسريانه في أعيان الاشياء، فلا تدركه الابصار كما انها لا تدرك أرواحها المدبرة أشباحها وصورها الظاهرة، فهو اللطيف الخبير، والخبرة ذوق، والذوق تجلي والتجلي في الصور، فلا بد منها ولا بد منه، فلا بد أن يعبده من رآه بهواه. ان فهمت هذا اهـ

فتدبر حقيقة ما عليه هؤلاء فانهم أجمعوا على كل شرك في العالم وعدلوا بالله كل مخلوق وجوزوا ان يعبد كل شيء ومع كونهم يعبدون كل شيء فيقولون ما عبدنا إلا الله، فاجتمع في قولهم أمران: كل شرك، وكل جحود وتعطيل مع ظنهم أنهم ما عبدوا إلا الله، ومعلوم أن هذا خلاف دين المرسلين كلهم وخلاف دين أهل الكتاب كلهم، والملل كلها، بل وخلاف دين المشركين أيضاً وخلاف ما فطر الله عليه عباده مما يعقلونه بقلوبهم ويجدونه في نفوسهم، وهو في غاية الفساد والتناقض والسفسطة والجحود لرب العالمين

وذلك انه علم بالاضطرار أن الرسل كانوا يجعلون ما عبده المشركون غير الله، ويجعلون عابده عابداً لغير الله مشركاً بالله عادلاً به جاعلاً له نداً. فانهم دعوا الخلق إلى عبادة الله وحده لا شريك له. وهذا هو دين الله الذي أنزل به كتبه وأرسل به

رسله وهو الاسلام العام الذي لا يقبل الله من الاولين والآخرين غيره، ولا يغفر لمن تركه بعد بلاغ الرسالة كما قال (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وهو الفارق بين أهل الجنة وأهل النار والسعداء والاشقياء كما قال النبي ﷺ « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة » وقال « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله وجبت له الجنة » وقال « إني لاعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت إلا وجد روحه لها روحا وهي رأس الدين » وكما قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. فاذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله »

وفضائل هذه الكلمة وحقائقها وموقعها من الدين فوق ما يصفه الواصفون ويعرفه العارفون ، وهي حقيقة الامر كله كما قال تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا نوحي اليه انه لا إله الا أنا فاعبدون) فأخبر سبحانه انه يوحي إلى كل رسول بنفي الالوهية عما سواه وإثباتها له وحده . وزعم هؤلاء الملاحدة المشركون أن كل شيء يستحق الالوهية كاستحقاق الله لها ، وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون؟) وزعم هؤلاء الملاحدة ان كل شيء فانه إله معبود . فأخبر سبحانه انه لم يجعل من دون الرحمن آلهة. وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) فأمر الله سبحانه بعبادته واجتناب الطاغوت . وعند هؤلاء : أن الطواغيت جميعها فيها الله أو هي الله ومن عبدها فما عبد إلا الله . وقال تعالى (ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم) الآيتين وأمر سبحانه بعبادة الرب الخالق لهذه الآيات . وعند هؤلاء الملاحدة الملاعين هو عين هذه الآيات . ونهى سبحانه أن يجعل الناس له أنداداً وعندهم هذا لا يتصور فان الانداد هي عينه فكيف يكون نداً لنفسه؟ والذين عبدوا الانداد فما عبدوا سواه

ثم ان هؤلاء الملاحدة احتجوا بتسمية المشركين لما عبدوه إلهاً كما قال

(أجعل الآلهة إلها واحداً ؟) واعتقدوا انهم لما سموهم آلهة كانت تسمية المشركين دليلا على ان الهآية الله لهم. وهذه الحجة قد ردها الله على المشركين في غير موضع كقوله سبحانه عن هود في مخاطبته للمشركين من قومه (أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) الآية هذا رداً لقولهم (أجئتنا لنعبدالله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) فأخبر رسول الله ﷺ أن تسميتهم إياها آلهة ومعبودين تسمية ابتدعوها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من حجة ولا سلطان، والحكم ليس إلا لله وحده ، وقد أمر هو سبحانه أن لايعبد الا اياه، فكيف يحتج بقول مشركين لاحجة لهم؟ وقد أبطل الله قولهم؟ وأمر الخلق أن لا يعبدوا إلا إياه دون هذه الاوثان التي سماها المشركون آلهة، وعند الملاحدة عابدو الاوثان ما عبدوا الا الله

ثم ان المشركين أنكروا على الرسول حيث جاءهم ليعبدوا الله وحده ويذروا ما كان يعبد آباءهم، فاذا كانوا هم مازالوا يعبدون الله وحده كما تزعمه الملاحدة، فلم يدعو إلى ترك ما يعبده آباؤهم هو وغيره من الانبياء ؟ وكذلك قال سبحانه في سورة يوسف عنه (ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟ ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان — الى قوله — ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وقال سبحانه (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى — الى قوله — ولقد جاءهم من ربهم الهدى) وهذه الثلاثة المذكورة في هذه السورة هي الاوثان العظام الكبار التي كان المشركون ينتابونها من امصارهم، فاللات كانت حذو قديد بالساحل لأهل المدينة، والعزى كانت قريبة من عرفات لأهل مكة ، ومناة كانت بالطائف لثقيف، وهذه الثلاثة هى أمصار ارض الحجاز

أخبر سبحانه ان الاسماء التي سماها المشركون اسماء إبتدعوها لا حقيقة لها، فهم انما يعبدون اسماء لا مسميات لها، لانه ليس في المسمى من الالوهية ولا العزة

ولا التقدير شيء ، ولم ينزل الله سلطانا بهذه الاسماء ،إن يتبع المشركون الا ظنا لا يغني من الحق شيئا في أنها آلهة تنفع وتضر ويتبعوا اهواء انفسهم. وعند الملاحدة انهم اذا عبدوا أهواءهم فقد عبدوا الله ،وقد قال سبحانه عن امام الائمة وخليل الرحمن وخير البرية بعد محمد ﷺ انه قال لأبيه (ياأبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا* ياأبت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك — الى قوله — فتكون للشيطان ولياً) فنهاه وأنكر عليه ان يعبد الاوثان التي لاتسمع ولا تبصر ولا تغني عنه شيئا

وعلى زعم هؤلاء الملحدين فما عبدوا غير الله في كل معبود فيكون الله هو الذي لايسمع ولا يبصر ولا يغني عنه شيئاً وهو الذي نهاه عن عبادته وهو الذي امره بعبادته. وهكذا قال احذق طواغيتهم الفاجر التلمساني في قصيدة له :

يا عاذلي انت تنهاني وتأمرني والوجد اصدق نهاء وأمار

فان اطعك وأعص الوجد عذرني عمى عن العيان الى اوهام أخبار (١)

وعين ما أنت تدعوني اليه اذا حققته تره المنهي يا جاري

وقد قال ايضا ابراهيم لأبيه (يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا) وعندهم ان الشيطان مجلى الهي ينبغي تعظيمه ومن عبده فما عبد غير الله، وليس الشيطان غير الرحمن حتى نعصيه، وقد قال سبحانه (ألم أعهد اليكم يابني آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين* وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم — الى قوله — يعقلون) فنهاهم عن عبادة الشيطان وأمرهم بعبادة الله سبحانه، وعندهم عبادة الشيطان هي عبادته أيضا، فينبغي أن يعبد الشيطان وجميع الموجودات فانها عينه

وقال تعالى أيضا عن امام الخلائق خليل الرحمن انه لما (رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين* فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي، فلما

(١) كذا في الاصل وليحرر

أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين* فلما رأى الشمس بازغة، قال هذا ربي هذا أكبر، فلما أفلت قال ياقوم إني بريء مما تشركون* إني وجهت وجهي ـ الى قوله ـ وهم مهتدون) وقال أيضا (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براآء منكم ـ الى قوله ـ حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال تعالى (واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني) الآية . وقال تعالى (أفرأيتم ما كنتم تعبدون * أنتم وآباءكم الاقدمون ـ الى قوله ـ إذ نسويكم برب العالمين) وقال تعالى (إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ؟ قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ـ إلى قوله ـ قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين)

فهذا الخليل الذي جعله الله امام الائمة الذين يهتدون بأمره من الانبياء والمرسلين بعده وسائر المؤمنين قال (إنني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً) وعند الملاحدة الذي أشركوه هو عين الحق ليس غيره ، فكيف يتبرأ من الله الذي وجه وجهه اليه؟ وأحد الأمرين لازم على أصلهم إما أن يعبده في كل شيء من المظاهر بدون تقييد ولا اختصاص وهو حال المكمل عندهم فلا يتبرأ من شيء ، واما أن يعبده في بعض المظاهر كفعل الناقصين عندهم

وأما التبري من بعض الموجودات فقد قال : ان قوم نوح لو تركوهم لتركوا من الحق بقدر ما تركوا من تلك الاوثان ، والرسل قد تبرأت من الاوثان فقد تركت الرسل من الحق شيئاً كثيراً وتبرؤا من الله الذي دعوا الخلق اليه ، والمشركون على زعمهم أحسن حالا من المرسلين ، لان المشركين عبدوه في بعض المظاهر ولم يتبرؤا من سائرها ، والرسل يتبرؤن منه في عامة المظاهر .

ثم قول ابراهيم (وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض) باطل على أصلهم ، فانه لم يفطرها اذ هي ليست غيره ، فما أجدرهم بقوله (ألم تر إلى الذين أوتوا

نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) الآية

ثم قول الخليل (وكيف أخاف ما أشركتم ولاتخافون انكم أشركتم بالله) الآية وهذه حجة الله التي آتاها ابراهيم على قومه بقوله : كيف أخاف ماعبدتموه من دون الله ؟ وهي المخلوقات المعبودة من دونه ، وعندهم ليست معبودة من دونه، ومن لم يقم بحقها فلم يخف الله، والرسل لم يخافوا الله .

وقول الخليل (انكم أشركتم بالله مالم ينزل به سلطانا) لم يصح عندهم فانهم لم يشركوا بالله شيئا اذ ليس ثم غيره حتى يشركوا به ، بل المعبود الذي عبدوه هو الله وأكثر ما فعلوه انهم عبدوه في بعض المظاهر وليس في هذا أنهم جعلوا غيره شريكا له في العبادة .

وقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) ورد في الصحيحين عن عبدالله بن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا : أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال النبي ﷺ « ألم تسمعوا الى قول العبد الصالح (لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) » فقد أخبر الله ورسوله ان الشرك ظلم عظيم ، وان الامن هو لمن آمن بالله ولم يخلط إيمانه بشرك ، وعلى زعم هؤلاء الملاحدة فايمان الذين خلطوا إيمانهم بشرك هو الايمان الكامل التام ، وهو إيمان المحقق العارف عندهم، لان من آمن بالله في جميع مظاهره وعبده في كل موجود هو أكمل ممن لم يؤمن بالامر حيث لم يظهر ، ولم يعبده الا من حيث لايشهد ولا يعرف [1] وعندهم

---

(١) يعنون بهذا الايمان بالغيب الذي هو أساس دين الله في القرآن وسائر الكتب الالهية . وهذا عندهم ادنى وانقص درجات الايمان بل هو عندهم باطل، إذ لا موجود عندهم غير هذه المظاهر، فاكمل العبادة عبادتها أو عبادة ما سمي الاله فيها كلها وهو هي، ودون ذلك عبادته في بعضها كعبادة المسيح وغيره من البشر وعبادة العجل والاصنام فكلما كثرت المعبودات كانت العبادة أكمل ، ولا يسمى هذا شركا عندهم لان هذه كلها وسائر الموجودات شيء واحد في نفسه متعدد في مظاهره .

لا يتصور أن يوجد الا في المخلوق، فمن لم يعبده في شيء من المخلوقات أصلا فما عبده في الحقيقة ، واذا أطلقوا انه عبده فهو لفظ لا معنى له، أي اذا فسروه فيكون بالتخصيص بمعنى انه خصص بعض المظاهر بالعبادة ، وهذا عندهم نقص لا من جهة ما أشركه وعبده ، وانما هو من جهة ما تركه، فليس عندهم في الشرك ظلم ولا نقص الا من جهة قلته ، و الا فاذا كان الشرك عاما كان أكمل وأفضل ،

وكذلك أيضا قول الخليل لقومه (إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله) تبرأ عندهم من الحق الذي ظهر فيهم وفي آلهتهم، وكذلك كفره به ومعاداته لهم كفر بالحق عندهم ومعاداة له .

ثم قوله (حتى تؤمنوا بالله وحده) كلام لا معنى له عندهم ، فانهم كانوا مؤمنين بالله وحده ، اذ لا يتصور عنـدهم غيره ، وانما غايتهم انهم عبدوه في بعض المظاهر وتركوا بعضها من غير كفر به فيها ، وكذلك سائر ماقصه عن ابراهيم من معاداته لما عبده اولئك هو عندهم معاداة لله لانه ماعبد غير الله كما زعم الملحدون محتجين بقوله (وقضى ربك أن لا تعبدوا الا إياه) قالوا : وما قضى الله شيئا الا وقع .وهذا هو الالحاد في آيات الله ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، والكذب على الله، فان «قضى» هنا ليست بمعنى القدر والتكوين باجماع المسلمين بل وباجماع العقلاء حتى يقال ماقدر الله شيئاً الاوقع، وانما هي بمعنى أمر، وما أمر الله به فقد يكون وقد لا يكون. فتدبر هذا التحريف، وكذلك قوله ماحكم الله بشيء الا وقع كلام مجمل فان الحكم يكون بمعنى الامر الديني وهو الاحكام الشرعية كقوله (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الانعام) الآية ، وقوله (ومن أحسن من الله حكما) وقوله (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) ويكون الحكم حكما بالحق والتكوين والعقل كقوله (لن أبرح الارض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي) وقوله (قل رب احكم بالحق)

ولهذا كان بعض السلف يقرءون (ووصى ربك أن لا تعبدوا الا إياه) وذكروا أنها كذلك في بعض المصاحف ، ولهذا قال في سياق الكلام (وبالوالدين احسانا) الآية وساق أمره ووصاياه الى أن قال (ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا) فختم الكلام بمثل ما افتتحه به من أمره بالتوحيد ونهيه عن الشرك ليس هو اخباراً انه ماعبد أحد الا الله وان الله قدر ذلك وكونه ، وكيف وقد قال (ولا تجعل مع الله إلها آخر) ؟ وعندهم ليس في الوجود شيء يجعل إلها آخر فأي شيء عبد فهو نفس الاله ليس آخر غيره ،

ومثل معاداة ابراهيم والمؤمنين لله على زعمهم حيث عادى العابدين والمعبودين وما عبد غير الله ، وما عبد الله غير الله ، فهو عين كل عابد وعين كل معبود وقوله تعالى (لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة) وعلى زعمهم مالله عدو أصلا ، وانه ماثم غير ولا سوى بحيث يتصور أن يكون عدو نفسه اوعدو الذوات التي لا يظهر الا بها

(السادس) ان عندهم ان دعوة العباد الى الله مكر بهم كما صرح به حيث قال : ان الدعوة الى الله مكر بالمدعو فانه ماعدم من البداية فيدعى الى الغاية .

وقال أيضا صاحب الفصوص (وبشر المخبتين) الذين خبت نار طبيعتهم فقالوا الها ولم يقولوا طبيعة (وقد أضلوا كثيرا) أي حيروهم في تعداد الواحد بالوجوه والنسب (ولا تزد الظالمين) لانفسهم المصطفين الذين أورثوا الكتاب فهم اول الثلاثة فقدمه على المقتصد والسابق (الا ضلالا) أي الا حيرة . وفي المحمدي زدني فيك تحيراً (كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا) له فالحير له الدور والحركة الدورية حول القطب فلا تبرح منه ، وصاحب الطريق المستطيل مائل خارج عن المقصود طالب ماهو فيه ، صاحب خيال اليه غايته ، فله « من » و « الى » ومابينهما ، وصاحب الحركة الدورية لا بدء له فيلزمه « من » ولا غاية فتحكم عليه « الى » فله الوجود الاتم وهو المؤتى جوامع الكلم » اه

وقال بعض شعرائهم:

مابال عينك لا يقر قرارها وإلام خطوك لا يني متنقلا

فلسوف تعلم ان سيرك لم يكن الا اليك اذا بلغت المنزلا

فعندهم الانسان هو غاية نفسه، وهو معبود نفسه وليس وراءه شيء يعبده أو يقصده، أو يدعوه أو يستجيب له، ولهذا كان قولهم حقيقة قول فرعون،

وكنت أقول لمن أخاطبه ان قولهم هو حقيقة قول فرعون حتى حدثني بعض من خاطبته في ذلك من الثقات العارفين: ان بعض كبرائهم لما دعا هذا المحدث إلى مذهبهم وكشف له حقيقة سرهم قال: فقلت له هذا قول فرعون، قال: نعم، ونحن على قول فرعون، فقلت له والحمد لله الذي اعترفوا بهذا، فانه مع إقرار الخصم لا يحتاج إلى بينة،

وقد جعل صاحب الطريق المستطيل صاحب خيال، ومدح الحركة المستديرة الحائرة، والقرآن يأمر بالصراط المستقيم ويمدحه ويثني على أهله لا على المستدير. ففي أم الكتاب (اهدنا الصراط المستقيم) وقال (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) وقال (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً) الآيتين (١) وقال تعالى في موسى وهارون (وآتيناهما الكتاب المستبين* وهديناهما الصراط المستقيم) وقال تعالى (وهذا صراط ربك مستقيما، قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) وقال عن ابليس (فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم) الآية وقال تعالى (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين) وهؤلاء الملحدون من أكابر متبعيه، وانه قعد لهم على صراط الله المستقيم فصدهم عنه حتى كفروا بربهم، وآمنوا ان نفوسهم هي معبودهم وإلههم. وقال تعالى في حق خاتم الرسل (وانك لتهدي إلى صراط مستقيم* صراط الله) الآية وأيضاً فان الله يقول (وردوا الى الله مولاهم الحق) وقال تعالى (ان الينا إيابهم

(١) أي أقرأ الآيتين بعد هذه اذ آخرها (ولهديناهم صراطا مستقيما)

ثم ان علينا حسابهم) وقال تعالى (إلى الله مرجعكم جميعاً) الآية وقال تعالى (يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه) وهؤلاء عندهم ماثم الا أنت، وأنت من الآن مردود الى الله، وما رأيت مردوداً اليه وليس هو شيء غيرك حتى ترد اليه أو ترجع اليه ، أو تكدح اليه أو تلاقيه ، ولهذا حدثونا أن ابن الفارض لما احتضر أنشد بيتين:

إن كان منزلتي في الحب عندكم ما قد لقيت فقد ضيعت أيامي
أمنية ظفرت نفسي بها زمناً واليوم أحسبها أضغاث أحلام

وذلك انه كان يتوهم انه الله، وانه ما ثم مرد اليه ومرجع اليه غير ما كان عليه ، فلما جاءته ملائكة الله تنزع روحه من جسمه ، وبدا له من الله مالم يكن يحتسب ، تبين له أن ماكان عليه أضغاث أحلام من الشيطان

وكذلك حدثني بعض أصحابنا عن بعض من أعرفه وله اتصال بهؤلاء عن الفاجر التلمساني انه وقت الموت تغير واضطرب، قال: دخلت عليه وقت الموت فوجدته يتأوه ، فقلت له: مم تتأوه ؟ فقال من خوف الفوت ، فقلت سبحان الله، ومثلك يخاف الفوت وأنت تدخل الفقير إلى الخلوة فتوصله إلى الله في ثلاثة ايام؟ فقال مامعناه : زال ذلك كله وما وجدت لذلك حقيقة

(الثامن) [1] ان عندهم من يدعي الالهية من البشر كفرعون والدجال المنتظر، أو ادعيت فيه وهو من أولياء الله نبياً كالمسيح، أو غير نبي كعلي، أو ليس من أولياء الله كالحاكم بمصر وغيرهم ، فانه عند هؤلاء الملاحدة المنافقين يصحح هذه الدعوى ، وقد صرح صاحب الفصوص أن هذه الدعوى كدعوى فرعون ، وهم كثيراً مايعظمون فرعون فانه لم يتقدم لهم رأس في الكفر مثله، ولا يأتي متأخر لهم مثل الدجال الاعور الكذاب ، وإذا نافقوا المؤمنين وأظهروا الايمان قالوا انه مات مؤمنا وانه لايدخل النار ، وقالوا

(١) لم يذكر السابع

ليس في القرآن مايدل على دخوله النار . وأما في حقيقة أمرهم فما زال عندهم عارفا بالله ، بل هو الله، وليس عندهم نار فيها ألم أصلا كما سنذكره ان شاء الله عنهم، ولكي يتفطن بهذا لكون البدع مظان النفاق، كما أن السنن شعائر الايمان

قال صاحب الفصوص في فص الحكمة التي في الكلمة الموسوية لما تكلم على قوله (وما رب العالمين) «وهنا سر كبير فانه أجاب بالفعل لمن سأل عن الحد الذاتي فجعل الحد الذاتي عين اضافته إلى ما ظهر به من صور العالم أو ما ظهر فيه من صور العالم، فكأنه قال له في جواب قوله (وما رب العالمين) قال الذي يظهر فيه صور العالمين من علو وهو السماء وسفل وهو الارض (إن كنتم موقنين) أو يظهر هو بها ، فلما قال فرعون لأصحابه انه لمجنون كما قلنا في معنى كونه مجنونا أي لمستور عنه علم ماسألته عنه أو لا يتصور أن يعلم أصلا، زاد موسى في البيان ليعلم فرعون رتبته في العلم الالهي لعلمه بأن فرعون يعلم ذلك فقال (رب المشرق والمغرب) فجاء بما يظهر ويستتر وهو الظاهر والباطن(وما بينهما) وهو قوله « وهو بكل شيء عليم » (ان كنتم تعقلون) اي ان كنتم أصحاب تقييد فان العقل التقييد

«والجواب الاول جواب الموقنين وهم أهل الكشف والوجود، فقال له (ان كنتم موقنين) أي أهل كشف ووجود فقد أعلمتكم ماتيقنتموه في كشفكم ووجودكم، فان لم تكونوا من هذا الصنف فقد أجبتكم بالجواب الثاني ان كنتم أهل عقل وتقييد وحصرتم الحق فيما تعطيه أدلة عقولكم ، فظهر موسى بالوجهين ليعلم فرعون فضله وصدقه، وعلم موسى ان فرعون لكونه سأل عن ذلك من الماهية فعلم انه سؤاله ليس على اصطلاح القدماء في السؤال فلذلك أجاب فلو علم منه غير ذلك لخطأه في السؤال ، فلما جعل موسى المسؤول عنه عين العالم خاطبه فرعون بهذا اللسان والقوم لايشعرون فقال له (لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين) والسين من حروف الزوائد ، أي لأسترنك فانك أجبت بما أيدتني به ان أقول مثل

هذا القول فان قاتلي بلسان الاشارة : فقد جهلت يا فرعون بوعيدك اياي والعين واحدة فكيف فرقت فيقول فرعون انما فرقت المراتب العين ما تفرقت العين ولا انقسمت في ذاتها، ومرتبتي الآن التحكم فيك ياموسى بالفعل، وانا أنت بالعين، وأنا غيرك بالرتبة ـ وساق الكلام الى ان قال : ولما كان فرعون في منصب الحكم صاحب الوقت وانه الخليفة بالسيف وان جار في العرف الناموسي لذلك قال (أنا ربكم الأعلا) وان كان الكل أربابا بنسبة ما ، فأنا الأعلا منهم بما اعطيته في الظاهر من التحكم فيكم ، ولما علمت السحرة صدقه فيما قال لهم لم ينكروه وأقروا له بذلك وقالوا له (فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا) فالدولة لك فصح قوله (أنا ربكم الاعلا) وان كان عين الحق فالصورة لفرعون فقطع الايدي والارجل وصلب بعين حق في صورة باطل لنيل مراتب لاتنال الا بذلك الفعل فان الاسباب لاسبيل الى تعطيلها لان الاعيان الثابتة اقتضتها، فلا تظهر في الوجود الا بصورة ما هي عليه في الثبوت اذ لا تبديل لكلمات الله ، وليست كلمة الله سوى اعيان الموجودات»

فصل

ومن أعظم الاصول التي يعتمدها هؤلاء الاتحادية الملاحدة المدعون التحقيق والعرفان ما يأثرونه عن النبي ﷺ قال «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان » وهذه الزيادة وهو قوله «وهو الآن على ماعليه كان » كذب مفتري على رسول الله ﷺ اتفق أهل العلم بالحديث على إنه موضوع مختلق ، وليس هو في شيء من دواوين الحديث ، لا كبارها ولا صغارها . ولا رواه أحد من أهل العلم باسناد لاصحيح ولاضعيف ، ولاباسناد مجهول ، وأنما تكلم بهذه الكلمة بعض متأخري متكلمة الجهمية . فتلقاه من هؤلاء الذين وصلوا إلى آخر التجهم

وهو التعطيل والالحاد ، ولكن أولئك قد يقولون : كان الله ولا مكان ولا زمان، وهو الآن على ما عليه كان، فقال هؤلاء : كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ماعليه كان ، وقد عرف بأن هذا ليس من كلام النبي ﷺ أعلم هؤلاء بالاسلام ابن عربي فقال «مالابد للمريد منه وكذلك ، جاء في السنة «كان الله ولا شيء معه» قال : وزاد العلماء وهو الآن على ماعليه كان ، ولم يرجع اليه من خلقه العالم وصف لم يكن عليه ولا عالم موجود ، فاعتقد فيه من التنزيه مع وجود العالم مايعتقده فيه ولا عالم ولا شيء سواه . » وهذا الذي قاله هو قول كثير من أهل القبلة . ولو ثبت على هذا لكان قوله من جنس قول غيره لكنه متناقض ، ولهذا كان مقدم الاتحادية الفاجر التلمساني يرد عليه في مواضع يقرب فيها إلى المسلمين ، كما يرد عليه المسلمون المواضع التي خرج فيها إلى الاتحاد ، وانما الحديث المأثور عن النبي ﷺ ما أخرجه البخاري ومسلم عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ انه قال « كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء ، ثم خلق السموات والارض » وهذه الزيادة الالحادية ، وهو قولهم : وهو الآن على ماعليه كان ، قصد بها المتكلمة المتجهمة نفي الصفات التي وصف بها نفسه من استوائه على العرش ونزوله إلى السماء الدنيا ، وغير ذلك فقالوا : كان في الازل ليس مستوياً على العرش ، وهو الآن على ما عليه كان، فلا يكون على العرش لما يقتضي ذلك من التحول والتغير ، ويجيبهم أهل السنة والاثبات بجوابين

(أحدهما) أن المتجدد نسبة إضافية بينه وبين العرش بمنزلة المعية ويسميها ابن عقيل الاحوال ، وتجدد النسب والاضافات متفق عليه بين جميع أهل الارض من المسلمين وغيرهم. إذ لا يقتضي ذلك تغيراً ولا استحالة

(والثاني) أن ذلك وان اقتضى تحولا من حال إلى حال ، ومن شأن إلى شأن ، فهو مثل مجيئه واتيانه ونزوله . وتكليمه لموسى واتيانه يوم القيامة في صورة ونحو ذلك مما

دلت عليه النصوص. وقال به أكثر أهل السنة في الحديث . وكثير من أهل الكلام وهو لازم لسائر الفرق. وقد ذكرنا نزاع الناس في ذلك في قاعدة الفرق بين الصفات والمخلوقات والصفات الفعلية ، وأما هؤلاء الجهمية الاتحادية فقالوا : وهو الآن على ماعليه كان ، ليس معه غيره كما كان في الازل ولا شيء معه ، قالوا : إذ الكائنات ليست غيره ولا سواه ، فليس الا هو : فليس معه شيء آخر لا أزلا ولا أبدا بل هو عين الموجودات ، ونفس الكائنات ، وجعلوا المخلوقات المصنوعات هي نفس الخالق الباريء المصور ، وهم دائما يذكرون بهذه الكلمة : « وهو الآن على ماعليه كان » وهي أجل عندهم من (قل هو الله أحد) ومن آية الكرسي لما فيها من الدلالة على الاتحاد الذي هو الحادهم ، وهم يعتقدون أنها ثابتة عن النبي ﷺ وأنها من كلامه ومن أسرار معرفته ، وقد بينا أنها كذب مختلق ، ولم يروها أحد من أهل العلم ولا في شيء من دواوين الحديث بل اتفق العارفون بالحديث على انهـا موضوعة ، ولا تنقل هذه الزيادة عن امام مشهور في الامة بالامامة ، وانما مخرجها ممن يعرف بنوع من التجهم ، وتعطيل بعض الصفات ، ولفظ الحديث المعروف عند علماء الحديث الذي أخرجه أصحاب الصحيح « كان الله ولا شيء معه ، وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء » وهذا انما ينفي وجود المخلوقات من السموات والارض . ومافيهما من الملائكة والانس والجن . لا ينفي وجود العرش. ولهذا ذهب كثير من السلف والخلف الى أن العرش متقدم على القلم واللوح . مستدلين بهذا الحديث وحملوا قوله « أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب . فقال: وما اكتب ؟ قال اكتب ماهو كائن الى يوم القيامة » على هذا الخلق المذكور في قوله (وهو الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وكان عرشه على الماء) وهذا نظير حديث أبي رزين العقيلي المشهور في كتب المسانيد والسنن انه سأل النبي ﷺ فقال : يارسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ فقال

« كان في عماء،مافوقه هواء وما تحته هواء» فالخلق المذكور في هذا الحديث لم يدخل فيه الغمام، وذكر بعضهم أن هذا هو السحاب المذكور في قوله (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) وفي ذلك آثار معروفة

والدليل على أن هذا الكلام وهو قولهم «وهو الآن على ما عليه كان» كلام باطل مخالف للكتاب والسنة والاجماع والاعتبار وجوه

(أحدها) أن الله قد اخبر بأنه مع عباده في غير موضع من الكتاب عموما وخصوصاً مثل قوله (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش وهو معكم أينما كنتم) وقوله (ما يكون من نجوى ثلاثة الاهو رابعهم - الى قوله - اينما كانوا) وقوله (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون * والله مع الصابرين) في موضعين وقوله (انني معكما أسمع وأرى * لاتحزن ان الله معنا * وقال الله اني معكم * ان معي ربي سيهديني) وكان النبي ﷺ اذا سافر يقول « اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل، اللهم اصحبنا في سفرنا، واخلفنا في أهلنا » فلو كان الخلق عموماً وخصوصاً ليسوا غيره ولاهم معه بل ما معه شيء آخر امتنع أن يكون هو مع نفسه وذاته، فان المعية توجب شيئين كون أحدهما مع الآخر فكما أخبر الله انه مع هؤلاء امتنع علم بطلان قولهم « هو الآن على ما عليه كان» لاشيء معه. بل هو عين المخلوقات، وأيضاً فان المعية لاتكون الا من الطرفين، فان معناها المقارنة والمصاحبة، فاذا كان أحد الشيئين مع الآخر امتنع ألا يكون الآخر معه، فمن الممتنع أن يكون الله مع خلقه ولا يكون لهم وجود معه ولا حقيقة أصلا بل هم هو

(الوجه الثاني) ان الله قال في كتابه (ولا تجعل مع الله الهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً) وقال تعالى (فلا تدع مع الله الهاً آخر فتكون من المعذبين) وقال (ولاتدع مع الله الهاً آخر لا اله الاهو كل شيء هالك الاوجهه)

فنهاه أن يجعل أو يدعو معه إلهاً آخر،ولم ينهه ان يثبت معه مخلوقاً ، أو يقول ان معه عبداً مملوكا أو مربوباً فقيراً ،أو معه شيئا موجوداً خلقه، كما قال : (لا إله إلاهو) ولم يقل لاموجود الا هو،ولا هو الا هو،ولا شيء معه الا هو، بمعنى انه نفس الموجودات وعينها. وهذا كما قال (الهكم اله واحد) فاثبت وحدانيته في الالوهية ولم يقل ان الموجودات واحد فهذا التوحيد الذي في كتاب الله هو توحيد الالوهية وهو أن لاتجعل معه ولاتدعومعه الهاً غيره ، فأين هذا من أن يجعل نفس الوجود هو اياه ، وأيضاً فنهيه أن يجعل معه او يدعو معه الهاً آخر دليل على أن ذلك ممكن كما فعله المشركون الذين دعوا مع الله آلهة أخرى

فهذه النصوص تدل على أن معه أشياء ليست بآلهة. ولا يجوز أن تجعل آلهة ولا تدعى آلهة، وأيضاً فعند الملحد يجوز أن يعبد كل شيء ويدعى كل شيء اذ لايتصور أن يعبد غيره فانه هو الاشياء ، فيجوز للانسان حينئذ أن يدعو كل شيء من الآلهة المعبودة من دون الله ، وهو عند الملحد ما دعا معه الهاً آخر فجعل نفس ما حرمه الله وجعله شركا جعله توحيداً ، والشرك عنده لا يتصور بحال

(الوجه الثالث) ان الله لما كان ولا شيء معه لم يكن معه سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ، ولا جن ولا انس ولا ذوات ولا شجر ولا جنة ولا نار ولا جبال ولا بحار. فان كان الآن على ما عليه كان، فيجب أن لا يكون معه شيء من هذه الاعيان ، وهذا مكابرة للعيان، وكفر بالقرآن والايمان

(الوجه الرابع) ان الله كان ولا شيء معه ثم كتب في الذكر كل شيء كما جاء في الحديث الصحيح فان كان لاشيء معه فيما بعد فما الفرق بين حال الكتابة وقبلها ،وهو عين الكتابة واللوح عند الفراعنة الملاحدة ؟

فصل

وزعمت طائفة من هؤلاء الاتحادية الذين ألحدوا في أسماء الله وآياته ان فرعون كان مؤمنا وانه لايدخل النار ، وزعموا انه ليس في القرآن مايدل على عذابه بل فيه ماينفيه كقوله (ادخلوا آل فرعون أشد العذاب)قالوا فانما أدخل آله دونه وقوله (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار)قالوا إنما أوردهم ولم يدخلها قالوا ولانه قد آمن انه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل ، ووضع جبريل الطين في فمه لايرد إيمان قلبه .

وهذا القول كفر معلوم فساده بالاضطرار من دين الاسلام لم يسبق ابن عربي اليه فيما اعلم أحد من أهل القبلة ولا من اليهود ولا من النصارى بل جميع أهل الملل مطبقون على كفر فرعون . فهذا عند الخاصة والعامة أبين من أن يستدل عليه بدليل، فانه لم يكفر أحد بالله ويدعي لنفسه الربوبية والالهية مثل فرعون ، ولهذا ثنى الله قصته في القرآن في مواضع فان القصص هي أمثال مضروبة للدلالة على الايمان، وليس في الكفار أعظم من كفره ،والقرآن قد دل على كفره وعذابه في الآخرة في مواضع

(أحدها) قوله تعالى في القصص (فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين ـ الى قوله ـ واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين) فأخبر سبحانه أنه أرسله الى فرعون وقومه ، وأخبر أنهم كانوا قوما فاسقين ، وأخبر انهم (قالوا ماهذا إلا سحر مفترى) وأخبر ان فرعون(قال ماعلمت لكم من إله غيري) وانه أمر باتخاذ الصرح ليطلع لى إله موسى وانه يظنه كاذبا.وأخبر انه استكبر فرعون وجنوده وظنوا انهم لايرجعون الى الله.وانه أخذ فرعون وجنوده فنبذهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين،وانه جعلهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لاينصرون، وأنه

أتبعهم في الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين

فهذا نص في ان فرعون من الفاسقين المكذبين لموسى الظالمين الداعين إلى النار الملعونين في الدنيا بعد غرقهم المقبوحين في الدار الآخرة . وهذا نص في أن فرعون بعد غرقه ملعون، وهو في الآخرة مقبوح غير منصور . وهذا إخبار عن غاية العذاب، وهو موافق للموضع الثاني في سورة المؤمن وهو قوله (وحاق بآل فرعون سوء العذاب * النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) وهذا إخبار عن فرعون وقومه انه حاق بهم سوء العذاب في البرزخ وانهم في القيامة يدخلون أشد العذاب ، وهذه الآية إحدى ما استدل به العلماء على عذاب البرزخ

وانما دخلت الشبهة على هؤلاء الجهال لما سمعوا آل فرعون فظنوا ان فرعون يخرج منهم . وهذا تحريف للكلم عن مواضعه . بل فرعون داخل في آل فرعون بلا نزاع بين اهل العلم والقرآن واللغة يتبين ذلك بوجوه

(أحدها) ن لفظ آل فلان يدخل فيها ذلك الشخص مثل قوله في الملائكة الذين ضيفوا ابراهيم (انا أرسلنا الى قوم مجرمين * الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين * الا امرأته) ثم قال (فلما جاء آل لوط المرسلون قال) يعني لوطا (انكم قوم منكرون) وكذلك قوله (انا أرسلنا عليهم حاصباً الا آل لوط نجيناهم بسحر)ثم قال بعد ذلك (ولقد جاء آل فرعون النذر * كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر) ومعلوم أن لوطا داخل في آل لوط في هذه المواضع وكذلك فرعون داخل في آل فرعون المكذبين المأخوذين ، ومنه قول النبي ﷺ « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم » وكذلك قوله « كما باركت على آل ابراهيم » فابراهيم داخل في ذلك ، وكذلك قوله للحسن « ان الصدقة لا تحل لآل محمد »

وفي الصحيح عن عبد الله بن أبي أوفى قال : كان القوم إذا أتوا رسول الله

ﷺ بصدقة يصلي عليهم، فأتى أبي بصدقة فقال « اللهم صل على آل أبي أوفى » وأبو أوفى هو صاحب الصدقة .

ونظير هذا الاسم أهل البيت اسما ، فالرجل يدخل في اهل بيته كقول الملائكة (رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت) وقول النبي ﷺ « سلمان منا اهل البيت » وقوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) وذلك لان آل الرجل من يتولى أباه ونفسه ممن يؤول اليه، وأهل بيته هم من يأهله وهو من يأهل اهل بيته

فقد تبين ان الآية التي ظنوا أنها حجة لهم هي حجة عليهم في تعذيب فرعون مع سائر آل فرعون في البرزخ وفي القيامة ، ويبين ذلك ان الخطاب في القصة كلها إخبار عن فرعون وقومه . قال تعالى (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب) الى قوله (قال الذين استكبروا إنا كلٌّ فيها ان الله قد حكم بين العباد) فأخبر عقب قوله (ادخلوا آل فرعون اشد العذاب) عن محاجتهم في النار وقول الضعفاء للذين استكبروا وقول المستكبرين للضعفاء (إنا كلٌّ فيها) ومعلوم ان فرعون هو رأس المستكبرين ، وهو الذي استخف قومه فأطاعوه ، ولم يستكبر احد استكبار فرعون فهو احق بهذا النعت والحكم من جميع قومه

(الموضع الثاني) وهو حجة عليهم لا لهم قوله (فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد * يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود) إلى قوله (بئس الرفد المرفود) اخبر انه يقدم قومه ولم يقل يسوقهم وانه اوردهم النار. ومعلوم ان المتقدم اذا اورد المتأخر النار كان هو اول من يردها والا لم يكن قادما بل كان سائقا . يوضح ذلك انه قال (وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة) فعلم انه وهم يردون النار وانهم جميعاً ملعونون في الدنيا والآخرة . وما اخلق

المحاج عن فرعون ان يكون بهذه المثابة فان المرء مع من احب (والذين كفروا بعضهم اولياء بعض) وأيضاً فقد قال تعالى (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس) يقول: هلا آمن قوم فنفعهم ايمانهم إلا قوم يونس . وقال تعالى (أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الارض ـ الى قوله ـ سنة الله التي قد خلت في عباده) فأخبر عن الامم المكذبين للرسل انهم آمنوا عند رؤية البأس وانه لم يك ينفعهم ايمانهم حينئذ ، وان هذه سنة الله الخالية في عباده ، وهذا مطابق لما ذكره الله في قوله لفرعون (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) فان هذا الخطاب هو استفهام انكار اي الآن تؤمن وقد عصيت قبل ؟ فأنكر أن يكون هذا الايمان نافعاً أو مقبولا ، فمن قال انه نافع مقبول فقد خالف نص القرآن وخالف سنة الله التي قد خلت في عباده

يبين ذلك انه لو كان ايمانه حينئذ مقبولا لدفع عنه العذاب كما دفع عن قوم يونس، فانهم لما قبل ايمانهم متعوا إلى حين، فان الاغراق هو عذاب على كفره فاذا لم يك كافراً لم يستحق عذابا . وقوله بعد هذا (فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) فوجب أن يعتبر به من خلفه ، ولو كان انما مات مؤمنا لم يكن المؤمن مما يعتبر باهلاكه وإغراقه . وأيضا فان النبي ﷺ لما أخبره ابن مسعود بقتل أبي جهل قال «هذا فرعون هذه الامة » فضرب النبي ﷺ المثل في رأس الكفار المكذبين له برأس الكفار المكذبين لموسى . فهذا يبين انه هو الغاية في الكفر فكيف يكون قدمات مؤمنا ؟ ومعلوم أن من مات مؤمنا لايجوز أن يوسم بالكفر ولا يوصف لان الاسلام يهدم ما كان قبله، وفي مسند أحمد واسحاق وصحيح ابن أبي حاتم عن عوف بن مالك عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ في تارك الصلاة « يأتي مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف »

﴿ هذا آخر ما وجد بخطه من هذه الرسالة ﴾

﴿فهرس رسالة﴾

حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود

﴿تم الفهرس والحمد لله﴾

عرش الرحمن

وما ورد فيه من الآيات والاحاديث

وكونه فوق العالم كله، ومعنى التوجه في الدعاء الى جهة العلو

وبطلان ماقيل من ان العرش هو الفلك التاسع عند علماء الهيئة اليونانية

تأليف

شيخ الاسلام ابن تيمية
قدس الله سره

أشرف على تصحيحه وعلق عليه بعض الحواشي

السيد محمد رشيد رضا
منشئ مجلة المنار

مطبعة المنار بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سئل ﴾ شيخنا وسيدنا شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية أعاد الله تعالى من بركته آمين : ما تقول في العرش، هل هو كري ام لا ؟ فاذا كان كريا والله من ورائه محيط بائن عنه ، فما فائدة أن العبد يتوجه الى الله حين دعائه وعبادته فيقصد العلو دون غيره ؟ فلا فرق حينئذ وقت الدعاء بين قصد جهة العلو وغيرها من الجهات التي تحيط بالداعي، ومع هذا نجد في قلوبنا قصداً بطلب العلو لا يلتفت يمينه ولا يساره ، فأخبرنا عن هـذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا وقد فطرنا عليها ، وابسطوا لنا الجواب في ذلك .

﴿ أجاب ﴾ رضي الله تعالى عنه :

الحمد لله رب العالمين ، الجواب عن هذا بثلاث مقامات :

(أحدها) ان لقائل أن يقول لم يثبت بدليل يعتمد عليه ان العرش فلك من الافلاك المستديرة الكرية الشكل لا بدليل شرعي ولا دليل عقلي ، وانما ذكر طائفة من المتأخرين الذين نظروا في علم الهيئة وغيره من أجزاء الفلسفة فرأوا أن الافلاك تسعة وان التاسع ـ وهو الاطلس ـ محيط بها مستدير كاستدارتها، وهو الذي يحركها الحركة الشرقية، وان كان لكل فلك حركة تخصه غير هذه الحركة العامة، ثم سمعوا في أخبار الانبياء ذكر عرش الله وذكر كرسيه وذكر السموات السبع، فقالوا بطريق الظن: ان العرش هو الفلك التاسع، لاعتقادهم أن ليس وراء ذلك التاسع شيء إما مطلقاً وإما انه ليس وراءه مخلوق، ثم ان منهم من رأى ان التاسع هو الذي يحرك الافلاك كلها فجعلوه مبدأ الحوادث وزعموا أن الله تعالى يحدث فيه ما يقدره في الارض او يحدثه في النفس التي زعموا انها متعلقة به ،او في العقل الذي زعموا انه صدر عنه

هذا الفلك، وربما سماه بعضهم الروح، وربما جعل بعضهم ذلك النفس هو اللوح المحفوظ كما جعل العقل هو القلم، وتارة يجعلون اللوح هو العقل الفعال العاشر الذي لفلك القمر والنفس المتعلقة به. وربما جعلوا ذلك بالنسبة إلى الحق كالدماغ بالنسبة الى الانسان يقدر فيه مايفعله قبل أن يكون، إلى غير ذلك من المقالات التي قد شرحناها وبينا فسادها في غير هذا الموضع . ومنهم من يدعي انه علم ذلك بطريق الكشف والمشاهدة ويكون كاذبا فيما يدعيه ، وانما أخذ ذلك عن هؤلاء المتفلسفة تقليداً لهم اوموافقة لهم على طرقهم الفاسدة ، كما فعل اصحاب رسائل اخوان الصفا وأمثالهم

وقد ينتحل المرء في نفسه ماتقلده عن غيره فيظنه كشفاً كما ينتحل النصراني التثليث الذي يعتقده ، وقد يرى ذلك في منامه فيظنه كشفاً ، وانما يخيل لما اعتقده (١) وكثير من أرباب الاعتقادات الفاسدة اذا ارتاضوا صقلت الرياضة نفوسهم فتتمثل لهم اعتقاداتهم فيظنونها كشفاً ، وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع .

والمقصود هنا ان ماذكروه من ان العرش هو الفلك التاسع قد يقال انه ليس لهم عليه دليل لاعقلي ولاشرعي، اما العقلي فان أئمة الفلسفة مصرحون بانه لم يقم عندهم دليل على ان الافلاك هي تسعة فقط ، بل يجوز ان تكون أكثر من ذلك ، ولكن دلتهم الحركات المختلفة والكسوفات ونحو ذلك على ماذكروه . وما لم يكن لهم دليل على ثبوته فهم لايعلمون لاثبوته ولا انتفاءه

مثال ذلك انهم علموا ان هذا الكوكب تحت هذا بان السفلي يكسف العلوي من غير عكس، فاستدلوا بذلك على أنه من فلك فوقه، كما استدلوا بالحركات المختلفة على أفلاك مختلفة ، حتى جعلوا في الفلك الواحد عدة أفلاك كفلك التدوير وغيره،

(١) لعل أصله : يخيل اليه ما اعتقده، وان بعض النصارى يرون في المنام وفي حال تغلب الخيال عند أولى المزاج العصبي في اليقظة السيد المسيح او السيدة مريم عليهما السلام او غيرهما من الحواريين ومن دونهم ويسمعون منهم مايوافق عقائدهم كما يقع لكثير من المسلمين فيغترون بهذه الخيالات

فأما ما كان موجودا فوق هذا ولم يكن لهم مايستدلون به على ثبوته فهم لايعلمون نفيه ولا اثباته بطريقه . وكذلك قول القائل ان حركة التاسع مبدأ الحوادث خطأ وضلال على أصولهم ، فانهم يقولون ان الثامن له حركة تخصه بما فيه من الثوابت ، ولتلك الحركة قطبان غير قطبي التاسع ، وكذلك السابع والسادس ،

واذا كان لكل فلك حركة تخصه والحركات المختلفة هي سبب الاشكال الحادثة المختلفة الفلكية ، وتلك الاشكال سبب الحوادث السفلية ، كانت حركة التاسع جزء السبب كحركته ، فالاشكال الحادثة في الفلك كمقارنة الكوكب للكوكب في درجة واحدة ومقابلته له إذا كان بينهما نصف الفلك وهو مائة وثمانون درجة وتثليثه اذا كان بينهما ثلث الفلك مائة وعشرون درجة ، وتربيعه له اذا كان بينهما ربعه تسعون درجة ، وتسديسه له إذا كان بينهما سدس الفلك ستون درجة ـ وأمثال ذلك من الاشكال ـ انما حدثت بحركات مختلفة ، وكل حركة ليست عن الاخرى ، اذ حركة الثامن التي تخصه ليست عن حركة التاسع وان كان تابعاً له في الحركة الكلية كالانسان المتحرك في السفينة الى خلاف حركتها . وكذلك حركة السابع التي تخصه ليست عن التاسع ولا عن الثامن ، وكذلك سائر الافلاك فان حركة كل واحد التي تخصه ليست عما فوقه من الافلاك ، فكيف يجوز أن يجعل مبدأ الحوادث كلها مجرد حركة التاسع كما زعمه من ظن انه العرش ؟ كيف والفلك التاسع عندهم بسيط متشابه الاجزاء لااختلاف فيه أصلا ، فكيف يكون سبباً لأمور مختلفة لاباعتبار القوابل وأسباب أخر ، ولكن هم قوم ضالون يجعلونه مع هذا ثلثمائة وستين درجة ، ويجعلون لكل درجة من الاثر مايخالف الاخرى لاباختلاف القوابل ، كمن يجيء إلى ماء واحد فيجعل لبعض أجزائه من الاثر مايخالف الآخر لابحسب القوابل بل يجعل أحد جزئيه مسخناً والآخر مبرداً ، والآخر مسعداً ، والآخر مشقيا ، وهذا مما يعلمون هم وكل

عاقل انه باطل وضلال ، واذا كان هؤلاء ليس عنـدهم ماينفي وجود شيء آخر فوق الافلاك التسعة كان يجزم [١] أن ماأخبرت به الرسل من العرش هو الفلك التاسع رجماً بالغيب وقولا بلا علم .

هذا كله على تقدير ثبوت الافلاك التسعة على المشهور عند أهل الهيئة ،إذفي ذلك من النزاع والاضطراب وفي أدلة ذلك ماليس هذا موضعه ، وانما نتكلم على هذا التقدير أيضاً [٢] فالافلاك في أشكالها وإحاطة بعضها ببعض من جنس واحد فنسبة السابع إلى السادس كنسبة السادس إلى الخامس . واذا كان هناك فلك تاسع فنسبته إلى الثامن كنسبة الثامن إلى السابع

وأما العرش فالاخبار تدل على مباينته لغيره من المخلوقات وانه ليس نسبته إلى بعضها كنسبة بعضها إلى بعض ، قال الله تعـالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهـم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلمـا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) وقال تعـالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) فأخبر أن للعرش حملة اليوم ويوم القيامة ، وان حملته ومن حوله يسبحون ويستغفرون للمؤمنين ، والمعلوم أن قيام فلك من الافلاك بقـدرة الله تعالى كقيام سائر الافلاك لافرق في ذلك بين كرة وكرة ، وإن قدر أن لبعضها في نفس الامر ملائكة تحملها فحكمه حكم نظيره

---

(١) لعل اصله : كان جزمه اوجزمهم بأن ما اخبرت الرسل الخ

(٢) يعني الشيخ (رح) انه يبني ابطال قولهم على تقدير ثبوت الافلاك التسعة جدلا وهي غير ثابتة بدليل صحيح ، ونقول إنه قد تبين بعده بما ارتقى اليه علم الهيئة الفلكية بالآلات الحديثة المقربة للابعاد بطلان القول بالافلاك التسعة التي تخيلها اليونان وتبعهم فيها علماء العرب

قال الله تعالى (وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) فذكر هنا أن الملائكة تحف من حوله ، وذكر في موضع آخر أن له حملة ، وجمع في موضع ثالث بين حملته ومن حوله ، فقال (الذين يحملون العرش ومن حوله) وأيضاً فقد أخبر ان عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السموات والارض كما قال تعالى (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء)

وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ أنه قال « كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والارض » وفي رواية له « كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والارض ، وكتب في الذكر كل شيء » وفي رواية لغيره صحيحة « كان الله ولم يكن شيء معه ، وكان عرشه على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء »

وثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال « إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء » فهذا التقدير بعد وجود العرش وقبل خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ، وهو سبحانه وتعالى يتمدح بانه ذوالعرش المجيد كقوله سبحانه (قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا) وقوله تعالى (رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق * يوم هم بارزون لايخفى على الله منهم شيء ، لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار)

وقال سبحانه (وهو الغفور الودود * ذوالعرش المجيد * فعال لما يريد) وقد قرىء المجيد بالرفع صفة لله ، وقرىء بالخفض صفة للعرش وقال تعالى (قل من

رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون لله قل أفلا تتقون) فوصف العرش بانه مجيد وأنه عظيم

وقال تعالى (فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم) فوصفه بانه كريم أيضاً ، وكذلك في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول عند الكرب « لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم » فوصفه في الحديث بانه عظيم وكريم أيضاً

فيقول القائل المنازع : إن نسبة الفلك الاعلى إلى مادونه كنسبة الآخر إلى مادونه ، فلو كان العرش من جنس الافلاك لكانت نسبته إلى مادونه كنسبة الآخر إلى مادونه ، وهذا لايوجب خروجه عن الجنس وتخصيصه بالذكر كما لم يوجب ذلك تخصيص سماء دون سماء ، وإن كانت العليا بالنسبة إلى السفلى كالفلك على قول هؤلاء

وانما امتاز عما دونه بكونه أكبر كما تمتاز السماء العليا على الدنيا بل نسبة السماء إلى الهواء ونسبة الهواء إلى الماء والارض كنسبة فلك إلى فلك . ومع هذا فلا يخص واحد من هذه الاجناس عما يليه بالذكر ولا يوصفه بالكرم والمجد والعظمة ، وقد علم أنه ليس سبباً لذاتها ولا لحركاتها ، بل لها حركات تخصها فلا يجوز أن يقال إن حركته هي سبب الحوادث، بل إن كانت حركة الافلاك سبباً للحوادث فحركات غيره التي تخصه أكثر ولا يلزم من كونه محيطا بها أن يكون أعظم من مجموعها، إلا اذا كان له من الغلظ ما يقاوم ذلك ، وإلا فمن المعلوم أن الغليظ اذا كان متقاربا مجموع الداخل أعظم من المحيط بل قد يكون بقدره أضعافا ، بل الحركات المختلفة التي ليست عن حركته أكثر لكن حركته تشملها كلها

وقد ثبت في صحيح مسلم عن جويرية بنت الحارث أن النبي ﷺ دخل

عليها وكانت تسبح بالحصى إلى الضحى فقال « لقد قلت كلمة تعدل كلمات لو وزنت بما قلتيه لوزنتهن : سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله رضى الله نفسه ، سبحان الله مداد كلماته »[1] فهذا يبين أن زنة العرش أثقل الاوزان ، وهم يقولون إن الفلك التاسع لاخفيف ولا ثقيل ، بل يدل على أنه وحده أثقل مايمثل به كما ان عدد المخلوقات أكثر مايمثل به

وفي الصحيحين عن أبي سعيد قال : جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ وقد لطم وجهه فقال: يامحمد رجل من أصحابك لطم وجهي. فقال النبي ﷺ «ادعوه» فقال « لم لطمت وجهه ؟» فقال يارسول الله إني مررت بالسوق وهو يقول: والذي اصطفى موسى على البشر ' فقلت ياخبيث وعلى محمد؟ فأخذتني غضبة فلطمته، فقال النبي ﷺ « لاتخيروا بين الانبياء فان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فاذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقته » فهذا فيه بيان أن للعرش قوائم وجاء ذكر القائمة بلفظ الساق والافلاك متشابهة في هذا الباب

وقد أخرجا في الصحيحين عن جابر قال سمعت النبي ﷺ يقول « اهتز

---

(١) لهذا الحديث في مسلم وكذا في السنن لفظان عن جويرية (رض) أحدهما أن النبي (ص) خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال « مازلت على الحال التي فارقتك عليها ؟ قالت نعم . قال النبي (ص) لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته » واللفظ الآخر انه قال « سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضا نفسه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته » وليس في الرواية انها كانت تسبح بالحصى ولعله قد ثبت عنها في رواية أخرى كما ثبت عن صفية (رض) والحديث ذكره ابو داود في باب التسبيح بالحصى ولكنه ذكر التسبيح بالحصى عن غيرها

عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ » قال فقال رجـل لجابر ان البراء يقول اهتز السرير قال: انه كان بين هذين الحيين لاوس والخزرج ضغائن. سمعت نبي الله ﷺ يقول « اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ » ورواه مسلم في صحيحه من حديث أنس أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال- وجنازة سعد موضوعة « اهتز لها عرش الرحمن » وعندهم ان حركة الفلك التاسع دائمة متشابهة ومن تأول ذلك على ان المراد به استبشار حملة العرش وفرحهم فلا بد له من دليل على ماقال كما ذكر ابو الحسين الطبري وغيره ان سياق الحديث ولفظه ينفي هذا الاحتمال وفي صحيح البخارى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من آمن بالله ورسوله واقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان كان حقاً على الله ان يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها » قالوا: يارسول الله، أفلا نبشر الناس بذلك ؟ قال « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين بينهما كما بين السماء والارض . فاذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر انهار الجنة »

وفي صحيح مسلم عن ابي سعيد أن رسول الله ﷺ قال « ياابا سعيد، من رضي بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً وجبت له الجنة » فعجب لها ابوسعيد فقال: أعدها علي يارسول الله ، ففعل قال « وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة، مابين كل درجتين كما بين السماء والارض » قال وما هي يارسول الله قال « الجهاد في سبيل الله » وفي صحيح البخاري ان ام الربيع بنت البراء وهي ام حارثة بن سراقة أتت النبي ﷺ فقالت : يارسول الله الا تحدثني عن حارثة، وكان قتل يوم بدر ـ أصابه سهم غَرْب (١) ، فان كان في الجنة صبرت ، وان كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء . قال « ياأم حارثة، انها جنان في الجنة وان ابنك أصاب الفردوس الاعلى »

«١» بفتح الراء وسكونها ، أي لايعرف راميه

فهذا قد بين ان العرش فوق الفردوس الذي هو اوسط الجنة وأعلاها، وان الجنة مائة درجة، مابين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس أعلاها. والحديث الثاني يوافقه في وصف الدرج المائة، والثالث يوافقه في ان الفردوس أعلاها.

واذا كان العرش فوقه فلقائل ان يقول: اذا كان كذلك كان في هذا من العلو والارتفاع ما لم يعلم بالهيئة، إذ لا يعلم بالحساب أن بين التاسع والاول كما بين السماء والارض مائة مرة، بل عندهم أن التاسع ملاصق للثامن. فهذا قد بين أن العرش فوق الفردوس الذي هو أوسط الجنة وأعلاها. وفي حديث أبي ذر المشهور قال: قلت يارسول الله، أيما أنزل عليك أعظم؟ قال «آية الكرسي» ثم قال ياأبا ذر «ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة» والحديث له طرق وقد رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه وأحمد في المسند وغيرهما.

وقد استدل من استدل على أن العرش مقبب بالحديث الذي في سنن أبي داود وغيره عن جبير بن مطعم قال: أتى رسول الله ﷺ اعرابي فقال: يا رسول الله، جهدت الانفس وجاع العيال، وهلك المال، فادع الله لنا. فانا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك. فسبح رسول الله ﷺ حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه وقال «ويحك، أتدري ما تقول؟ ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه. شأن الله أعظم من ذلك. إن الله على عرشه، وان عرشه على سماواته وأرضه لهكذا - وقال بأصابعه مثل القبة» وفي لفظ «وان عرشه فوق سماواته، وسماواته فوق أرضه، لهكذا» وقال بأصابعه مثل القبة. وفي لفظ «وان عرشه فوق سماواته، وسماواته فوق أرضه لهكذا» وقال باصابعه مثل القبة (١) وهذا الحديث وان دل على

(١) لهذا الحديث بقية والفاظ مختلفة قال البيهقي بعد ايراده في الاسماء والصفات عن ابي داود: وهذا حديث ينفرد به محمد بن اسحاق بن يسار عن =

التقبب وكذلك قوله عن الفردوس « إنها أوسط الجنة وأعلاها » مع قوله « وان سقفها عرش الرحمن » أو « ان فوقها عرش الرحمن » والاوسط لا يكون الاعلى الا في المستدير ، فهذا لا يدل على انه فلك من الافلاك ، بل إذا قدر انه فوق الافلاك كلها أمكن هذا فيه سواء قال القائل انه محيط بالافلاك أو قال انه فوقها . وليس يحيط بها، كما أن وجه الارض فوق النصف الاعلى من الارض وان لم يكن محيطا بذلك . وقد قال اياس بن معاوية : السماء على الارض مثل القبة . ومعلوم أن الفلك مستدير مثل ذلك ، لكن لفظ القبة يستلزم استدارة من العلو لا يستلزم استدارة من جميع الجوانب إلا بدليل منفصل، ولفظ الفلك يستدل به على الاستدارة مطلقا، فقوله تعالى (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) وقوله تعالى (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) يقتضي أنها في فلك مستديرة مطلقا كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه في فلكة مثل فلكة المغزل . وأما لفظ القبة فانه لا يعترض هذا المعنى لا بنفي ولا اثبات، لكن يدل على الاستدارة

= يعقوب بن عتبة ، وصاحبا الصحيح لم يحتجا به انما استشهد مسلم بن الحجاج بمحمد بن اسحاق في احاديث معدودة اظنهن خمسة قد رواهن غيره . وذكره البخاري في الشواهد ذكرا من غير رواية ، وكان مالك بن انس لا يرضاه ، ويحيى ابن سعيد القطان لا يروي عنه ، ويحيى بن معين يقول ليس هو بحجة ، واحمد ابن حنبل يقول يكتب عنه هذه الاحاديث - يعني المغازي ونحوها - فاذا جاء الحلال والحرام اردنا قوما هكذا - يريد اقوى منه - فاذا كان لا يحتج به في الحلال والحرام فأولى ان لا يحتج به في صفات الله سبحانه . وانما قموا عليه في روايته عن اهل الكتاب ثم عن ضعفاء الناس وتدليسه اساميهم . فاذا روى عن ثقة وبين سماعه منه فجماعة من الائمة لم يروا به باسا . وهو انما روى هذا الحديث عن يعقوب بن عتبة وبعضهم يقول عن عتبة وعن محمد بن جبير ولم يبين سماعه منهما . واختلف عليه في لفظه كما ترى اه فجملة القول ان هذا الحديث لا يصح ولعل الشيخ اورده استيفاء للروايات النافية لاقوال اهل الهيئة

من العلو كالقبة الموضوعة على الارض ، وقد قال بعضهم ان الافلاك غير السموات لكن رد عليه غيره هذا القول بان الله تعالى قال (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً) فاخبر انه جعل القمر فيهن ، وقد أخبر انه في الفلك(١)

وليس هذا موضع بسط الكلام في ذلك وتحقيق الامر فيه وبيان أن ماعلم بالحساب علماً صحيحاً لاينافي ماجاء به السمع وان العلوم السمعية الصحيحه لاتنافي معقولا صحيحاً، إذ قد بسطنا الكلام على هذا وأمثاله في غير هذا الموضع، فان ذلك يحتاج اليه في هذا ونظائره مما قد اشكل على كثير من الناس حيث يرون ما يقال انه معلوم بالعقل مخالفا لما يقال انه معلوم بالسمع ، وأوجب ذلك ان كذبت كل طائفة بما لم تحط بعلمه. حتى آل الامر بقوم من أهل الكلام ان تكلموا في معارضة الفلاسفة في الافلاك بكلام ليس معهم به حجة لا من شرع ولا من عقل، وظنوا ان ذلك من نصر الشريعة وكان ماجحدوه معلوما بالادلة الشرعية ايضا

وأما المتفلسفة واتباعهم فغايتهم ان يستدلوا بما شاهدوه من الحسيات ولا يعلمون ماوراء ذلك ، مثل ان يعلموا ان البخار المتصاعد ينعقد سحابا وان السحاب إذا اصطك حدث عنه صوت به(٢) ونحو ذلك، لكن علمهم بهذا كعلمهم بان الني يصير

(١) الذي يفهمه أهل اللغة من الفلك هنا أنه مدار الكواكب وعبارة القاموس مدار النجوم قال : ومن كل شيء مستداره ومعظمه ، وهذا غير المراد من الفلك عند علماء الهيئة اليونانية فهو عندهم جسم مستدير صلب شفاف لا يقبل الخرق والالتئام، وكل فلك من الاول الى السابع فيه كوكب من الدراري السبع يدور فيه والثامن للنجوم الثابتة كلها والتاسع أطلس ليس فيه شيء

(٢) يعنون بهذا الصوت الرعد، وهو قول باطل لم يجدوا مايعللون به صوت الرعد غيره . وأما علماء الكون في هذا العصر فقد ثبت عندهم أن البرق والرعد يحدثان من اشتعال الكهربائية بالتقاء الايجابي منها بالسلبي ، وبهذا الاشتعال يحدث تفريغ في الهواء يكون له صوت بقدره كما يحدث باطلاق المدفع وهو صوت الرعد والصواعق

في الرحم (جنينا) لكن ما الموجب للمني المتشابه الاجزاء ان يخلق منه هذه الاعضاء المختلفة والمنافع المختلفة على هذا الترتيب المحكم المتقن الذي فيه من الحكمة والرحمة ما بهر الالباب وكذلك ما الموجب لان يكون الهواء أو البخار ينعقد سحابا مقدراً بقدر مخصوص في وقت مخصوص على مكان يختص به وينزل على قوم عند حاجتهم اليه فيسقيهم بقدر الحاجة لا يزيد فيهلكوا ولا ينقص فيعوزوا . وما الموجب لان يساق إلى الارض الجُرُز التي لا تمطر أو تمطر مطراً لا يغنيها كارض مصر أو كان المطر القليل لا يكفيها والكثير يهدم ابنيتها (١) قال تعالى (او لم يروا انا نسوق الماء إلى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه انعامهم وأنفسهم افلا يبصرون)

وكذلك السحاب المتحرك وقد علم ان كل حركة فاما ان تكون قسرية وهي تابعة للقاسر ، أو طبيعية ، وانما تكون إذا خرج المطبوع من مركزه فيطلب عوده اليه أو ارادته وهي الاصل ، فجميع الحركات تابعة للحركة الارادية التي تصدر عن ملائكة الله تعالى التي هي المدبرات امراً والمقسمات امراً ، وغير ذلك مما اخبر الله تعالى به عن الملائكة . وفي المعقول ما يصدق ذلك . فالكلام في هذا وأمثاله له موضع غير هذا

والمقصود هنا ان نبين ان ما ذكر في السؤال زائل على كل تقدير فيكون الكلام في الجواب مبنيا على حجج علمية لا تقليدية ولا مسلمة ، وإذا بينا حصول الجواب على كل تقدير كما سنوضحه لم يضرنا بعد ذلك ان يكون بعض التقديرات هو الواقع وان كنا نعلم ذلك ، لكن تحرير الجواب على تقدير دون تقدير واثبات ذلك فيه طول لا يحتاج اليه هنا ، فان الجواب إذا كان حاصلا على كل تقدير كان أحسن وأوجز

---

(١) ان كون نزول المطر في كل أرض بقدر حاجة أهلها لا يزيد ولا ينقص غير مسلم والمعلوم بالمشاهدة خلافه فكثيرا ما يزيد فيحدث ضررا عظيما . او ينقص فتهلك الزروع وتقل الغلال وتحدث المجاعات وقد علم البشر من سنن الله في ذلك في عصرنا أكثر مما كان يعلم من قبلهم ولا يزالون يجهلون منها اضعاف ما علموا

المقام الثاني

ان يقال : العرش سواء كان هـذا الفلك اتاسع ، أو جسما محيطا بالفلك التاسع ،أو كان فوقه من جهة وجه الارض محيطا به،أو قيل فيه غيرذلك، فيجب ان يعلم ان العالم العلوي والسفلي بالنسبة إلى الخالق تعالى في غاية الصغر كما قل تعالى (وما قدروا اللهحق قدرهو الارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطو يات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي ﷺ انه قال « يقبض الله تبارك وتعالى الارض يوم القيامة ، ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول انا الملك أين ملوك الارض؟ »وفي الصحيحين ـ واللفظ لمسلم ـ عن عبدالله بن عمر : قال قال رسول الله ﷺ « يطوي الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول :أنا الملك،أين الجبارون أين المتكبرون؟ ثم يطوي الارضين بشماله ، ثم يقول : انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون؟ » وفي لفظ في الصحيح عن عبدالله بن مقسم انه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي النبي ﷺ قال « يأخذ الله سماوته وأرضه بيده ويقول :أنا الملك، ويقبض اصابعه ويبسطها، انا الملك » حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من اسفل شيء منه حتى أني اقول اساقط هو برسول الله ﷺ وفي لفظ قال « رأيت رسول الله ﷺ على المنبر وهو يقول يأخذ الجبار سماواته وأرضه ـ وقبض بيده وجعل يقبضها ويبسطها ـ ويقول انا الرحمن ،انا الملك، انا السلام، انا المؤمن، انا المهيمن ، انا العزيز، انا الجبار المتكبر، انا الذي بدأت الدنيا ولم تكن شيئا ،انا الذي اعدتها أين الملوك؟ اين الجبارون؟ اين المتكبرون؟» ويتميل رسول الله ﷺ على يمينه وعلى شماله، حتى نظرت الى المنبر يتحرك من اسفل شيء منه حتى أني لأقول اساقط

هو برسول الله ﷺ ؟ والحديث مروي في الصحيح والمسانيد وغيرها بألفاظ يصدق بعضها بعضا ، وفي بعض ألفاظه قال: قرأ على المنبر (والارض جميعاً قبضته يوم القيامة) الآية، قال« مطوية في كفه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة» وفي لفظ «يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده فيجعلها في كفه ثم يقول بها هكذا كما يقول الصبيان بالكرة، انا الله الواحد» وقال ابن عباس «يقبض عليهما فما يرى طرفاها بيده » وفي لفظ عنه« ما السموات السبع والارضون السبع وما فيهن وما بينهن بيد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم »وهذه الآثار معروفة في كتب الحديث

وفي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود قال : أتى النبي ﷺ رجل يهودي ، فقال : يا محمد ان الله يجعل السموات على اصبع ، والارضين على اصبع، والجبال والشجر على اصبع ، والماء والثرى على اصبع ، وسائر الخلق على اصبع ، فيهزهن فيقول : أنا الملك، أنا الملك، قال : فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر[١] ثم قال (وما قدروا الله حق قدره و الارض جميعاً قبضته يوم القيامة) إلى آخر الآية .

ففي هذه الآية والاحاديث الصحيحة المفسرة لها المستفيضة التي اتفق أهل العلم على صحتها وتلقيها بالقبول ما يبين أن السموات والارض وما بينهما بالنسبة إلى عظمة الله تعالى أصغر من أن يكون مع قبضه لها إلا كالشيء الصغير في يد أحدنا حتى يدحوها كما تدحى الكرة [٢]

---

(١) قوله تصديقا لقول الحبر قال بعض شراح الصحيحين ان هذه زيادة من الراوي قالها بحسب فهمه ، وهي ليست في كل الروايات وانكروا ان يكون (ص) صدق اليهودي بل قالوا انه اراد الانكار عليه وتلا الآية الدالة على ذلك . وخالفهم آخرون فراجع الاقوال في شرح الحديث من كتاب التوحيد في فتح الباري

(٢) دحا الكرة يدحوها دحرجها

قال عبد العزيز بن عبد الله بن ابي سلمة الماجشون الامام ــ نظير مالك ــ في كلامه المشهور الذي ردفيه على الجهمية ومن خالفها[١] قال: فأما الذي جحد ماوصف الرب من نفسه تعمقا وتكلفا قد استهوته الشياطين في الارض حيران، فصار يستدل بزعمه على جحد ماوصف الرب وسمى من نفسه بان قال: لابد إن كان له كذا من أن يكون له كذا، فعمي عن البين بالخفي، فجحد ماسمى الرب من نفسه فصمت الرب عما لم يسم منها فلم يزل يمثل له الشيطان حتى جحد قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة) فقال لايراه أحد يوم القيامة فجحدوا الله أفضل كرامته التي أكرم الله أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونظرته له إياهم (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) وقد قضى انهم لا يموتون فهم بالنظر إليه ينضرون — إلى أن قال — وانما جحدوا رؤية الله يوم القيامة إقامة للحجة الضالة المضلة، لانه قد عرف اذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين وكان له جاحداً.

وقال المسلمون: يارسول الله، هل نرى ربنا؟ فقال رسول الله ﷺ «هل تضارون[٢] في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا لا، قل «فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» قالوا لا، قل «فانكم ترون ربكم كذلك» وقال رسول الله ﷺ «لا تمتلىء النار حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط، وينزوي بعضها إلى بعض»

---

(١) أي من جاء بعد الجهمية ممن يقول قولهم (٢) يروي بتشديد الراء وتخفيفها. فالتشديد بمعنى لا تتخالفون ولا تتجادلون في صحة النظر اليه لوضوحه وظهوره. وقال الجوهري: أراد بالمضارة الاجتماع والازدحام عند النظر اليه. وأما التخفيف فهو من الضير وهو لغة في الضر

وقال لثابت بن قيس « قد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة » وقال فيما بلغنا عنه « إن الله يضحك من أزْلكم وقنوطكم وسرعة اجابتكم »[١] وقال له رجل من العرب : إن ربنا يضحك ؟ قال « نعم » قال : لن نعدم من رب يضحك خيراً .وفي اشباه لهذا مما لم نحصه . وقال تعالى (وهو السميع البصير * واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) وقال (ولتصنع على عيني) وقال (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي) وقال (والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) فوالله مادلهم على عظم ماوصف به نفسه وما تحيط به قبضته الاصغر نظيرها منهم عندهم أن ذلك الذي ألقي في روعهم وخلق على معرفة قلوبهم. فما وصف الله من نفسه وسماه على لسان رسوله سميناه كما سماه، ولم نتكلف منه علم ماسواه لاهذا ولا هذا ، لانجحد ماوصف، ولا نتكلف معرفة مالم يصف. انتهى

واذا كان كذلك فاذا قدر أن المخلوقات كالكرة فهذا قبضه لها ورميه بها. وانما بين لنا من عظمته وصغر المخلوقات بالنسبة اليه مايعقل نظيره منا ثم الذي في القرآن والحديث يبين أنه إن شاء قبضها وفعل بها ماذكر كما يفعل ذلك يوم القيامة ، وإن شاء لم يفعل ذلك، فهو قادر على أن يقبضها ويدحوها كالكرة ، وفي ذلك من الاحاطة بها مالا يخفى ، وإن شاء لم يفعل ذلك، وبكل حال فهو مباين لها ليس بمحايث لها .

ومن المعلوم ان الواحد منا .. ولله المثل الاعلى.. اذا كان عنده خردلة إن شاء قبضها فأحاطت بها قبضته ، وإن شاء لم يقبضها بل جعلها تحته فهو في الحالتين مباين لها ، وسواء قدر ان العرش هو محيط بالمخلوقات كاحاطة الكرة بما فيها أو قيل

١) قال في النهاية :هكذا يروى في بعض الطرق . والمعروف « من إلكم » والإل والازل بالفتح الشدة والضيق كانه أراد من شدة يأسكم وقنوطكم

انه فوقها وليس محيطا بها كوجه الارض الذي نحن عليه بالنسبة إلى جوفها وكالقبة بالنسبة الى ماتحتها او غير ذلك فعلى التقديرين يكون العرش فوق المخلوقات والخالق سبحانه وتعالى فوقه ، والعبد في توجهه إلى الله يقصد العلو دون التحت

وتمام هذا ببيان (المقام الثالث) وهو أن يقول لايخلو إما ان يكون العرش كريا كالافلاك ويكون محيطا بها ، واما ان يكون فوقها وليس هو كريا، فان كان الاول فمن المعلوم باتفاق من يعلم هذا ان الافلاك مستديرة كرية الشكل وان الجهة العليا هي جهة المحيط وهو المحدب، وأن الجهة السفلى هي المركز[1] وليس للافلاك إلا جهتان العلو والسفل فقط

وأما الجهات الست فهي للحيوان فان له ستة جوانب يؤم جهة فتكون أمامه ويخلف أخرى فتكون خلفه ، وجهة تحاذي يمينه وجهة تحاذى شماله، وجهة تحاذي رأسه ، وجهة تحاذى رجليه. وليس لهذه الجهات الست في نفسها صفة لازمة ، بل هي بحسب النسبة والاضافة، فيكون يمين هذا مايكون يسار هذا ، ويكون أمام هذا مايكون خلف هذا ، ويكون فوق هذا مايكون تحت هذا . لكن جهة العلو والسفل للافلاك لاتتغير ، فالمحيط هو العلو والمركز هو السفل، مع ان وجه الارض

(١) اي المركز الوسط من الداخل وهو المقعر الذي تكون جوانب المحيط بالنسبة اليه متساوية اذا كان المحيط متساويا كمحيط الفلك عندهم لانه كرة تامة وأما الارض فهي كرة غير تامة لان في محيطها تسطيحا وانبطاحا من جانبي قطبيها الشمالي والجنوبي فركزها أقرب اليهما منه الى سطح الاقاليم الاستوائية وناهيك بما فيها من الجبال، ولكن المركز هو جهة السفل لها من كل جانب والسطح محيطها وهو جهة العلو من كل جانب ، وأما جهة العلو لمن على سطحها كالانسان فهو ما فوق رأسه من السماء اينما كان

التي وضعها الله للانام وأرساها بالجبال هو الذى عليه الناس والبهائم والشجر والنبات والجبال والانهار الجارية .

فأما الناحية الاخرى من الارض فالبحر محيط بها وليس هناك شيء من الآدميين وما يتبعهم . ولو قدر ان هناك أحد لكان على ظهر الارض ولم يكن من في هذه الجهة تحت من في هذه الجهة ، ولا من في هذه تحت من في هذه، كما ان الافلاك محيطة بالمركز وليس أحد جانبي الفلك تحت الآخر، ولا القطب الشمالي تحت الجنوبي ولا بالعكس ، وإن كان الشمالي هو الظاهر لنا فوق الارض وارتفاعه بحسب بعد الناس عن خط الاستواء، فما كان بعده عن خط الاستواء ثلاثين درجة مثلا كان ارتفاع القطب عنده ثلاثين درجة وهو الذي يسمى عرض البلد . فكما ان جوانب الارض المحيطة بها وجوانب الفلك المستدير ليس بعضها فوق بعض ولا تحته ، فكذلك من كون على الارض من الحيوان والنبات لا يقال انه تحت أولئك، وانما هذا خيال يتخيله الانسان ،وهو تحت اضافي، كما لو كانت نملة تمشي تحت سقف فالسقف فوقها وإن كانت رجلاها تحاذيه ، وكذلك من علق منكوسا فانه تحت السماء ، وإن كانت رجلاه على السماء ، وكذلك قد يتوهم الانسان اذا كان في أحد جانبي الارض او الفلك ان الجانب الآخر تحته (١)

(١) كل ما قاله شيخ الاسلام في الارض فهو مبني على كونها كرة كما جزم به علماء الهيئة المتقدمون والمتأخرون ومن اطلع على هذا العلم وفهمه من علماء الاسلام الاعلام. وهذه مسألة قطعية لا ظنية ، وصرح بها ابن القيم من علماء الحديث بالتبع لاستاذه المؤلف وللامام ابن حزم واقتناعا بأدلتها و يدل عليه قوله تعالى (يكور الليل على النهار) الآية فان التكوير هو اللف على الجسم الكري المستدير كتكوير العمامة على الرأس، وكذا قوله تعالى ﴿ والارض بعد ذلك دحاها ﴾ فان الدحو فى أصل اللغة دحرجة الكرة وما فى معناها . ولا يعارضه قوله تعالى ﴿ واذا الارض سطحت ﴾ كما توهم الجلال وغيره لان وجه الكرة سطح لها والسطح في اللغة اعم منه فى عرف أهل الهندسة وكذلك الخط

وهذا أمر لا يتنازع فيه اثنان ممن يقول إن الافلاك مستديرة ، واستدارة الافلاك كما انه قول أهل الهيئة والحساب فهو الذى عليه علماء المسلمين كما ذكره ابو الحسين بن المنادى وأبو محمد بن حزم وابو الفرج بن الجوزى وغيرهم انه متفق عليه بين علماء المسلمين ، وقد قال تعالى (وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) قال ابن عباس في فلكة مثل فلكة المغزل ، والفلك في اللغة هو المستدير [1] ومنه قولهم : تفلك ثدي الجارية اذا استدار . وكل من جعل الافلاك مستديرة يعلم أن المحيط هو العالي على المركز في كل جانب . ومن توهم أن من يكون في الفلك من ناحيته يكون تحته من في الفلك من الناحية الاخرى في نفس الامر فهو متوهم عندهم .

واذا كان الامر كذلك فاذا قدر ان العرش مستدير محيط بالمخلوقات كان هو أعلاها وسقفها وهو فوقها مطلقا فلا يتوجه اليه وإلى ما فوقه الانسان إلا من العلو لا من جهته الباقية أصلا .

ومن توجه إلى الفلك التاسع أو الثامن او غيره من الافلاك من غير جهة العلو كان جاهلا باتفاق العقلاء ، فكيف بالتوجه إلى العرش او إلى ما فوقه ، وغاية

---

(١) هذا معناه العام . وأما معناه الخاص بالكواكب فهو مدار الكوكب كما تقدم في حاشية (ص١١٦) وهو مستدير على كل حال سواء كان كما قال المتقدمون من اليونان والعرب أم كان فضاء فما نقله شيخ الاسلام من اتفاق علماء المسلمين على استدارة الافلاك صحيح على كل حال فان الكواكب كلها مستديرة كرية الشكل وافلاكها التى تدور فيها كذلك ، والعالم كله كري الشكل ، وكل جرم من اجرامه يسبح دائراً في فلك له مستدير بنظام حسابي مطرد كما قال تعالى (الشمس والقمر بحسبان)

مايقدر أن يكون كريّ الشكل والله تعالى محيط بالمخلوقات كلها احاطة تليق بجلاله[١] فان السموات السبع في يده أصغر من الحمصة في يد أحدنا

وأما قول القائل : إذا كان كريا والله من ورائه محيط به بائن عنه، فما فائدة أن العبد يتوجه إلى الله حين دعائه وعبادته فيقصد العلو دون التحت، فلا فرق حينئذ وقت الدعاء بين قصد جهة العلو وغيرها من الجهات التي تحيط بالداعي؟ ومع هذا نجد في قلوبنا قصداً بطلب العلو ، لا نلتفت يمنة ولا يسرة. فاخبرونا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا وقد فطرنا عليها ؟

فيقال له : هذا السؤال انما ورد لتوهم المتوهم ان نصف الفلك يكون تحت الارض وتحت ما على وجه الارض من الآدميين والبهائم ، وهذا غلط عظيم ، فلو كان الفلك تحت الارض من جهة لكان تحتها من كل جهة، فكان يلزم ان يكون الفلك تحت الارض مطلقا ، وهذا قلب للحقائق ، إذ الفلك هو فوق الارض مطلقا ، واهل الهيئة يقولون : لو أن الارض مخروقة إلى ناحية ارجلنا وألقي في الخرق شيء ثقيل كالحجر ونحوه لكان ينتهي إلي المركز ، حتى لو ألقي من تلك الناحية حجر آخر لالتقيا جميعاً في المركز[٢] ولو قدر أن انسانين التقيا في المركز بدل الحجر لالتقت رجلاهما ولم يكن احدهما تحت الآخر بل كلاهما فوق المركز وكلاهما تحت الفلك كالمشرق والمغرب ، فانه لوقدر أن رجلا بالمشرق

---

(١) اما دليل احاطته فقوله عز وجل (والله من ورائهم محيط) واما قوله : احاطة تليق بجلاله فلنفي التشبيه باحاطة الاجسام بعضها ببعض، على قاعدة السلف التي قررها شيخ الاسلام مراراً وهي الايمان بالنصوص من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل

(٢) هذا متفق عليه بين المتقدمين والمتأخرين من علماء الفلك ويعللون به جاذبية الثقل فهي تختلف بنسبة بعد المحيط عن المركز وهو يختلف في المنطقة الاستوائية عن منطقتي القطبين كما أشرنا اليه في حاشية (ص١٢٢)

في السماء او الارض ، ورجلا بالمغرب في السماء او الارض لم يكن احدهما تحت الآخر ، وسواء كان رأسه او رجلاه او بطنه او ظهره او جنبه مما يلي السماء او مما يلي الارض ، واذا كان مطلوب أحدهما مافوق الفلك لم يطلبه الآخر الا من الجهة العليا ، لم يطلبه من جهة رجليه او يمينه او يساره . لوجهين :

(أحدهما)ان مطلوبه من الجهة العليا أقرب اليه من جميع الجهات، فلو قدر رجل او ملك يصعد الى السماء او إلى مافوق كان صعوده مما يلي رأسه اذا أمكنه ذلك ولا يقول عاقل انه يخرق الارض ثم يصعد من تلك الناحية، ولا انه يذهب يمينا او شمالا او اماما او خلفا الى حيث امكن من الارض ثم يصعد، لأن أي مكان ذهب اليه كان بمنزلة مكانه او هو دونه ، وكان الفلك هناك فوقه ، فيكون ذهابه الى الجهات الخمس تطويلا وتعباً من غير فائدة ، ولو ان رجلا أراد أن يخاطب الشمس والقمر فانه لايخاطبه إلا من الجهة العليا ،مع ان الشمس والقمر قد تشرق وقد تغرب فتنحرف عن سمت الرأس ، فكيف بما هو فوق كل شيء دائما لا يأفل ولا يغيب سبحانه وتعالى ؟ وكما ان الحركة كحركة الحجر تطلب مركزها بأقصر طريق وهو الخط المستقيم، فالطلب الارادي الذي يقوم بقلوب العباد كيف يعدل عن الصراط المستقيم القريب ؟ ويعدل الى طريق منحرف طويل ؟ والله فطر عباده على الصحة والاستقامة إلا من اجتالته الشياطين فأخرجته عن فطرته التي فطر عليها

(الوجه الثاني)انه إذا قصد السفل بلا علو كان منتهى قصده المركز، وإن قصده أمامه أو وراءه أو يمينه أو يساره من غير قصد العلو كان منتهى قصده أجزاء الهواء فلا بد له من قصد العلو ضرورة، سواء قصد مع ذلك هذه الجهات أو لم يقصدها، ولو فرض أنه قال : أقصده من اليمين مع العلو ، أو من السفل مع العلو كان هذا

بمنزلة من يقول، أريد أن أحج من الغرب فاذهب إلى خراسان(١) ثم أذهب إلى مكة، بل بمنزلة من يقول أصعد الى الافلاك فانزل في الارض لاصعد الى الفلك من الناحية لاخرى، فهذا وان كان ممكنا في المقدار، لكنه يستحيل من جهة امتناع ارادة القاصد له، وهو مخالف للفطرة، فان القاصد يطلب مقصوده بأقرب طريق لا سيا اذا كان مقصوده معبوده الذي يعبده ويتوكل عليه. وإذا توجه اليه على غير السراط المستقيم كان مسيره منكوساً معكوساً.

وأيضاً فان هذا الجمع في سيره وقصده بين النفي والاثبات بين أن يتقرب الى المقصود ويتباعد عنه، ويريده وينفر منه، فانه اذا توجه اليه من الوجه الذي هو عنه أبعد وأقصى، وعدل عن الوجه الاقرب الادنى، كان جامعاً بين قصدين متناقضين، فلا يكون قصده له تاماً، اذ القصد التام ينفي نقيضه وضده، وهذا معلوم بالفطرة، فان الشخص اذا كان يحب النبي ﷺ محبة تامة ويقصده أو يحب غيره مما يحب ـ سواء كانت محبة محمودة أو مذمومة ـ ومتى كانت المحبة تامة، وطلب المحبوب طلبه من أقرب طريق يصل اليه (٢) بخلاف ما اذا كانت المحبة مترددة مثل أن يحب ما يكره محبته في الدين فتبقى شهوته تدعوه الى قصده وعقله

---

(١) اي من الشام ـ حيث كان المؤلف ـ الى خراسان، ومعلوم أن مكة في الجهة الجنوبية للشام وخراسان في الجهة الشرقية فالذهاب من الشام غربا الى خراسان في الشرق ثم الى مكة ممكن لان الارض كرة ولكن هذا عمل لا يعمله من لا يريد بطواف أكثر محيط الارض الا مكة للحج الا ان يكون مجنونا. وانما يفعله العاقل اذا كانت الرحلة الى هذه الاقطار مقصودة لذاتها

(٢) قوله طلبه من أقرب طريق الخ جواب اذا ومتى اي اذا كان يحب ماذكر ومتى كانت محبته له تامة وطلبه بمقتضاها طلبه من اقرب طريق، وفيه ماترى من التعقيد

ينهاه عن ذلك فتراه يقصده من بعيد ، كما يقول العامة : رجل الى قدام ، ورجل الى خلف(١) وكذلك اذا كان في دينه نقص وعقله يأمره بقصد المسجد أو الجهاد أو غير ذلك من المقصودات التي تحب في الدين ، وتكرهها النفس ، فانه يبقى قاصداً لذلك من طريق بعيد : متباطئا في السير ، وهذا كله معلوم بالفطرة

وكذلك اذا لم يكن القاصد يريد الذهاب بنفسه ، بل يريد خطاب المقصود ودعاءه ونحو ذلك. فانه يخاطبه من أقرب جهة يسمع دعاءه منها وينال به مقصوده اذا كان القصد تاماً ، ولو كان رجلا في مكان عال ، وآخر يناديه لتوجه اليه وناداه ولوحط رأسه في بئر وناداه بحيث يسمع صوته لكان هذا ممكنا ، لكن ليس في الفطرة ان يفعل ذلك من يكون قصده اسماعه من غير مصلحة راجحة ولا يفعل نحو ذلك الا عند ضعف القصد ونحوه .

وحديث الادلاء الذي روي من حديث أبي هريرة وأبي ذر قد رواه الترمذي وغيره من حديث الحسن عن أبي هريرة وهو منقطع ، فان الحسن لم يسمع من أبي هريرة ، ولكن يقويه حديث أبي ذر المرفوع ، فان كان ثابتاً فمعناه موافق لهذا(٢) فان قوله « لو أدلي أحدكم بحبل لهبط على الله » انما هو تقدير مفروض: لو وقع الادلاء لوقع عليه، لكنه لا يمكن أن يدلي أحد على الله شيئا لانه عال بالذات ، واذا هبط شيء الى جهة الارض وقف في المركز ولم يصعد إلى

---

(١) مأخوذ من المثل العربي : مالي اراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى

(٢) ان شيخ الاسلام يعلم ان الحديث غير ثابت وتقوية الضعيف للضعيف لا يعتد بها في ثبوت حكم شرعي فعدم الاعتداد بها في صفات الله أولى ولا سيما هذه المتشابهات . ولكنه يجيب عن الاشكال فيه بفرض وقوعه وعبر عنه بقوله ان كان ثابتا لان الاصل في شرط « ان » عدم الوقوع لامتناعه أو لتنزيله منزلة الممتنع كما حققناه في تفسير﴿وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ من جزء التفسير الاول

الجهة الاخرى لكن بتقدير فرض الادلاء . لايكون ماذكر من الجزاء .

فهكذا ما ذكره السائل إذا قدر أن العبد يقصده من تلك الجهة كان هو سبحانه يسمع كلامه ، وان كان متوجهاً اليه بقلبه ، لكن هذا ما يمتنع من الفطرة لان قصده للشيء التام ينافي قصد ضده . فكما أن الجهة العليا بالذات تنافي الجهة السفلى ، فكذلك قصد الاعلى بالذات ينافي قصده من أسفل ، فكما أن ما يهبط إلى جوف الارض يمتنع صعوده إلى تلك الناحية لانها عالية فترد الهابط بعلوها ، كما أن الجهة العليا من عندنا ترد ما يصعد اليها من الثقيل فلا يصعد الثقيل الا برافع يرفعه يدافع به مافي قوته من الهبوط ، فكذلك مايهبط من أعلى الارض إلى أسفلها وهو المركز ، لا يصعد من هناك الى ذلك الوجه الا برافع يرفعه يدافع به مافي قوته من الهبوط إلى المركز ، فان قدر أن الرافع أقوى كان صاعداً به الى الفلك من تلك الناحية ، وصعد به الى الله .

وانما يسمى هبوطا باعتبار ما في اذهان المخاطبين أن مايحاذي أرجلهم يكون هابطا ويسمى هبوطا مع تسمية إهباطه ادلاء ، وهو انما يكون ادلاء حقيقياً الى المركز ، ومن هناك انما يكون مدخا للحبل والدلو لا ادلاء له(١)

لكن الجزاء والشرط مقدران لا محققان ، فانه قال : لو أدلى لهبط ، اي لو فرض ان هناك هبوطا وهو يكون ادلاء وهبوطا إذا قدران السموات تحت الارض وهذا التقدير منتف ولكن فائدته بيان الاحاطة والعلو من كل جانب

وهذا المفروض ممتنع في حقنا لا نقدر عليه ، فلا يتصور أن يهبط على الله شيء

---

(١) كذا في الاصل والمدح لايظهر معناه هنا والذي يقتضيه المقام أن يقال إن مايعد أو يدفع من مركز الكرة الى أي جانب من المحيط يكون مده أو دفعه رفعا واعلاء له لاادلاء ، لأن المركز هو الاسفل والمحيط هو الاعلى كما تقدم

لكن الله قادر على أن يخرق من هنا إلى هناك بحبل ، ولكن لايكون في حقه ادلاء فلا يكون في حقه هبوطا عليه، كما لو خرق بحبل من القطب او من مشرق الشمس الى مغربها ، وقدرنا ان الحبل مر في وسط الارض فان الله قادر على ذلك كله ، ولا فرق بالنسبة اليه على هذا التقدير بين أن يخرق من جانب اليمين منا الى جانب اليسار ، او من جهة امامنا الى جهة خلفنا ، و من جهة رءوسنا إلى جهة أرجلنا اذا مر الحبل بالارض . فعلى كل تقدير قد خرق بالحبل من جانب المحيط الى جانبه الآخر مع خرق المركز وتقدير احاطة قبضته بالسموات والارض . فالحبل الذي قدر انه خرق به العالم وصل اليه ، ولا يسمى شيء من ذلك بالنسبة اليه لا ادلاء ولا هبوطا

واما بالنسبة الينا فان ماتحت أرجلنا تحت لنا ، وما فوق رءوسنا فوق لنا ، وما ندليه من ناحية رءوسنا الى ناحية أرجلنا نتخيل انه هابط(١) فاذا قدر ان أحدنا أدلى بحبل كان هابطا على ماهناك، لكن هذا تقدير ممتنع في حقنا

والمقصود به بيان احاطة الخالق تعالى كما بين انه يقبض السموات ويطوي الارض ونحو ذلك مما فيه بيان احاطته بالمخلوقات، ولهذا قرأ في تمام هذا الحديث (هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)

وهذا كله كلام على تقدير صحته فان الترمذي لما رواه قال: وفسره بعض أهل العلم بانه هبط على علم الله

وبعض الحلولية والاتحادية يظن ان في هذا الحديث مايدل على قولهم الباطل وهو انه حالٌ بذاته في كل مكان، او ان وجوده وجود الامكنة ونحو ذلك

والتحقيق ان الحديث لايدل على شيء من ذلك ان كان ثابتاً، فان قوله «لو

(١) قوله تتخيل انه هابط — انما سمي هذا تخيلا لأن الجهات الست المذكورة أمور نسبية لاحقيقة ثابتة في انفسها .

دلي بحبل لهبط» يدل على انه(١) ليس في الدلي ولا في الحبل ولا في الدلو ولا في غير ذلك. وانما يقتضي انه من تلك الناحية ،

وكذلك تأويله بالعلم تأويل ظاهر الفساد من جنس تأويلات الجهمية . بل تقدير ثبوته يكون دالا على الاحاطة ، والاحاطة قد علم ان الله قادر عليها ، وعلم انها تكون يوم القيامة بالكتاب والسنة(٢) فليس في اثباتها في الجملة مايخالف العقل ولا الشرع، لكن لانتكلم الا بما نعلم ، وما لم نعلمه أمسكنا عنه ، وما كان مقدمة دليله مشكوكا فيها عند بعض الناس ، كان حقه أن يشك فيه حتى يتبين له الحق ، والا فليسكت عما لا يعلم

واذا تبين هذا ، فكذلك قصده بقصده الى تلك الناحية ، ولو فرض انا فعلناه لكنا قاصدين له على هذا التقدير لكن قصدنا له بالقصد إلى تلك الجهة ممتنع في حقنا لان القصد التام الجازم يوجب طلب المقصود بحسب الامكان

ولهذا قد بينا في غير هذا الموضع لما تكلمنا على تنازع الناس في النية المجردة عن الفعل هل يعاقب عليها ام لا يعاقب؟ بينا ان الارادة الجازمة توجب ان يفعل المريد مايقدر عليه من المراد. ومتى لم يفعل مقدوره لم تكن ارادته جازمة بل يكون هما «ومن هم بسيئة فلم يفعلها لم تكتب عليه فان تركها لله كتب له حسنة» ولهذا وقع الفرق بين هم يوسف عليه السلام وهم امرأة العزيز كما قال الامام احمد: «الهم همان : هم خطرات ، وهم إصرار، فيوسف عليه السلام هم هما تركه لله

---

١) الضمير راجع الى الله تعالى يعني انه لو كان تعالى فى هذه الاشياء أو لو كان عينها لما صح التعبير الذي بني على ان هنالك حبلا ودلوا وانسانا مدليا للدلو المعلق بالحبل وان غاية فعله وصول الحبل الى الله الذي هو غير ما ذكر

٢) قوله بالكتاب والسنة متعلق بعلم

فاثيب عليه، وتلك همت هم إصرار ففعلت ما قدرت عليه من تحصيل مرادها وإن لم يحصل لها المطلوب»

والذين قالوا يعاقب بالارادة احتجوا بقوله ﷺ «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» قالوا يارسول الله هـذا القاتل فما بال المقتول؟ قال «إنه أراد قتل صاحبه» وفي لفظ «إنه كان حريصا على قتل صاحبه» فهذا أراد ارادة جازمة وفعل مايقدر عليه وان لم يدرك مطلوبه، فهو بمنزلة امرأة العزيز، فمتى كان القصد جازما لزم ان يفعل القاصد ما يقدر عليه في حصول المقصود، وإذا كان قادراً على حصول مقصوده بطريق مستقيم امتنع مع القصد التام ان يحصله بطريق معكوس بعيد

ولهذا امتنع في فطر العباد عند ضرورتهم ودعائهم لله تعالى وتمام قصدهم له ان يتوجهوا اليه إلا توجها مستقيما، فيتوجهون إلى العلو دون سائر الجهات، لانه الصراط المستقيم القريب، وما سواه فيه من البعد والانحراف والطول مافيه، فمع القصد التام الذي هو حال الداعي العابد والسائر المضطر يمتنع ان يتوجه اليه الا إلى العلو، ويمتنع ان يتوجه اليه إلى جهة أخرى، كما يمتنع ان يدلي بحبل يهبط عليه، فهذا هذا والله أعلم.

وأما من جهة الشريعة فان الرسل صلوات الله عليهم بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها، لا بتبديل الفطرة وتغييرها. قال ﷺ في الحديث المتفق عليه «كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء» أي مجتمعة الخلق سوية الاطراف ليس فيها نقص كجدع وغيره «هل ترون فيها من نقص؟ هل تحسون فيها من جدعاء»

وقال تعالى (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولـكن أكثر الناس لا يعلمون). فجاءت

الشريعة بالعبادة والدعاء بما يوافق الفطرة، بخلاف ما عليه أهل الضلال من المشركين والصابئين المتفلسفة وغيرهم فانهم غيروا الفطرة في العلم والارادة جميعا، وخالفوا العقل والنقل، كما قد بسطناه في غير هذا الموضع

وقد ثبت في الصحيحين من غير وجه ان النبي ﷺ قال «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق قبل وجهه فان الله قبل وجهه، ولا عن يمينه فان عن يمينه ملكا، ولكن ليبصق عن يساره أو تحت رجله» وفي رواية أنه اذن ان يبصق في ثوبه،

وفي حديث ابي رزين المشهور الذي رواه عن النبي ﷺ لما أخبر النبي ﷺ « انه مامن احد إلا سيخلو به ربه » فقال له ابو رزين : كيف يسعنا يارسول الله وهو واحد ونحن جميع؟ فقال «سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله ، هذا القمر آية من آيات الله كلكم يراه مخليا به ، فالله أكبر » ومن المعلوم ان من توجه إلى القمر وخاطبه إذا قدر ان يخاطبه لايتوجه اليه إلا بوجهه مع كونه فوقه. ومن الممتنع في الفطرة ان يستدبره ويخاطبه مع قصده التام له وان كان ذلك ممكنا ، وانما يفعل ذلك من ليس مقصوده مخاطبته كما يفعل من ليس مقصوده التوجه إلى شخص بخطاب فيعرض عنه بوجهه أو يخاطب غيره ليسمع هو الخطاب، فاما مع زوال المانع فانما يتوجه إليه، فكذلك العبد إذا قام إلى الصلاة فانه يستقبل ربه وهو فوقه فيدعوه من تلقائه لا من يمينه ولا من شماله، ويدعوه من العلو لا من السفل، كما إذا قدر انه يخاطب القمر

وقد ثبت عنه ﷺ في الصحيحين أنه قال «لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم في الصلاة أو لاترجع اليهم أبصارهم » واتفق العلماء على ان رفع المصلي بصره إلى السماء منهي عنه، وروى احمد عن محمد بن سيرين أن النبي ﷺ كان يرفع بصره في الصلاة إلى السماء حتى أنزل الله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) فكان بصره لايجاوز موضع سجوده

فهذا مما جاءت به الشريعة تكميلا للفطرة، لان الداعي السائل الذي يؤمر بالخشوع ـ وهو الذل والسكون ـ لا يناسب حاله أن ينظر إلى ناحية من يدعوه ويسأله، بل يناسب حاله الاطراق وغض البصر أمامه. وليس نهي المصلي عن رفع بصره في الصلاة رداً على أهل الاثبات الذين يقولون انه على العرش كما يظنه بعض جهال الجهمية، فان الجهمية عندهم لا فرق بين العرش وقعر البحر فالجميع سواء، ولو كان كذلك لم ينه عن رفع البصر إلى جهة ويؤمر برده الى أخرى لان هذه وهذه عند الجهمية سواء

وأيضاً فلو كان الامر كذلك لكان النهي عن رفع البصر شاملا لجميع أحوال العبد . وقد قال تعالى (قد نرى تقلب وجهك في السماء) فليس العبد بمنهي عن رفع بصره مطلقاً ، وانما نهي في الوقت الذي يؤمر فيه بالخشوع لان خفض البصر من تمام الخشوع ، كما قال تعالى (خشعاً أبصارهم يخرجون من الاجداث) وقال تعالى (وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي)

وأيضاً فلو كان النهي عن رفع البصر إلى السماء وليس في السماء إله لكان لا فرق بين رفعه إلى السماء ورده إلى جميع الجهات

ولو كان مقصوده أن ينهى الناس ان يعتقدوا ان الله في السماء أو يقصدوا بقلوبهم التوجه إلى العلو لبين لهم ذلك كما بين لهم سائر الاحكام، فكيف وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا في قول سلف الامة حرف واحد يذكر فيه انه ليس الله فوق العرش ، أوانه ليس فوق السماء ، أو انه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا محايث له ، ولا مباين له ، او انه لا يقصد العبد اذ دعاه العلو دون سائر الجهات؟؟ بل جميع مايقوله الجهمية من النفي ويزعمون انه الحق ليس معهم به حرف من كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من سلف الامة وأئمتها، بل الكتاب والسنة وأقوال السلف و الائمة مملوءة بما يدل على نقض قولهم ، وهم يقولون ان ظاهر ذلك كفر فنؤول او نفوض .

فعلى قولهم ليس في الكتاب والسنة وأقوال السلف والائمة في هذا الباب، إلا ماظاهره كفر ،وليس فيها من الايمان في هذ الباب شيء .

والسباب الذي يزعمون انه الحق الذي يجب على المؤمن أو خواص المؤمنين اعتقاده عندهم، لم ينطق به رسول ولا نبي ولا أحد من ورثة الانبياء والمرسلين ، والذي نطقت به الانبياء وورثتهم ليس عندهم هو الحق بل هو مخالف للحق في الظاهر، بل حذاقهم يعلمون[1] أنه مخالف للحق في الظاهر والباطن، لكن هؤلاء منهم من يزعم ان الانبياء لم يمكنهم أن يخاطبوا الناس إلا بخلاف الحق الباطن فلبسوا وكذبوا لمصلحة العامة

فيقال لهم : فهلا نطقوا بالباطن لخواصهم الاذكياء الفضلاء ان كان ماتزعمونه حقاً ؟ وقد علم أن خواص الرسل هم على الاثبات أيضاً وانه لم ينطق بالنفي أحد منهم إلا ان يكذب على أحدهم كما قيل عن عمر: ان النبي ﷺ وأبا بكر كانا يتحدثان وكنت كالزنجي بينهما. وهذ مختلق باتفاق أهل العلم، وكذلك ما نقل عن علي وأهل بيته ان عندهم علما باطنا يختلف عن الظاهر الذي عند جمهور الامة

وقد ثبت في الصحاح وغيرها عن علي رضي الله تعالى عنه انه لم يكن عندهم عن النبي ﷺ شيء ليس عند الناس ، ولا كتاب مكتوب إلا ما كان في الصحيفة، وفيها الديات وفكاك الاسير، وان لا يقتل مسلم بكافر[2]

ثم انه من المعلوم أن من جعله الله هاديا مبلغاً بلسان عربي مبين اذا كان

(١) لعل أصل هذه الكلمة يعتقدون لانه ليس للجهمية علم بذلك بل ظن ولاته نظرياتهم الباطلة التي بين الشيخ بطلانها في عدة مواضع من كتبه

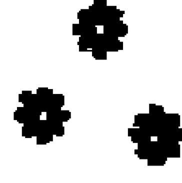
(٢) وتحريم المدينة كمكة . وهذه الصحيفة كتب بها هذه المسائل التي سمعها من النبي ﷺ وكانت معلقة في سيفه وقد ذكر البخاري حديثه في عدة من كتبه أولها كتاب العلم

لايتكلم أبداً قط إلا بما يخالف الحق الباطن الحقيقي فهو إلى الضلال والتدليس أقرب منه إلى الهدى والبيان ، وبسط الرد عليهم له موضع غير هذا

والمقصود أن ماجاء عن النبي ﷺ في هذا الباب وغيره كله حق يصدق بعضه بعضاً وهو موافق لفطرة الخلائق وماجعل فيهم من العقول الصريحة، وليس العقل الصحيح ولا الفطرة المستقيمة بمعارضة النقل الثابت عن رسول الله ﷺ ، فانما يظن تعارضهما من صدق بباطل من المنقول وفهم منه مالم يدل عليه،أو اذا اعتقد شيئاً ظنه من العقليات وهو من الجهليات،أومن المكشوفات وهو من المكسوفات، اذا كان ذلك معارضا لمنقول صحيح، وإلا عارض بالعقل الصريح ، او الكشف الصحيح ،مايظنه منقولا عن النبي ﷺ ويكون كذبا عليه، او مايظنه لفظا دالا على معنى ولا يكون دالا عليه، كما ذكروه في قوله ﷺ « الحجر الاسود يمين الله في الارض فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه» حيث ظنوا ن هذا وأمثاله محتاج إلى التأويل،وهذا غلط منهم لو كان هذا اللفظ ثابتاً عن النبي ﷺ فان هذا اللفظ صريح في ان الحجر الاسود ليس هو من صفات الله إذ قال هو «يمين الله في الارض» فتقييده بالارض يدل على انه ليس هو يده على الاطلاق فلا يكون اليد الحقيقية . وقوله « فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه » صريح في ان مصافحه ومقبله ليس مصافحا لله ولا مقبلا ليمينه لان المشبه ليس هو المشبه به، وقد أتى بقوله « فكأنما » وهي صريحة في التشبيه . واذا كان اللفظ صريحا في انه جعله بمنزلة اليمين لا انه نفس اليمين ، كان من اعتقد أن ظاهره انه حقيقة اليمين ،قائلا الكذب المبين .

فهذا كله بتقدير أن يكون العرش كري الشكل سواء كان هو الفلك التاسع أو غير الفلك التاسع .وقد تبين أن سطحه هو سقف المخلوقات وهو العالي عليها من جميع الجوانب وانه لايجوز ان يكون شيء مما في السماء والارض فوقه، وان القاصد إلى ما فوق العرش بهذا التقدير انما يقصد إلى العلو لايجوز في الفطرة ولا في الشريعة مع تمام قصده ان يقصد جهة أخرى من جهاته الست ، بل هو ايضا

يستقبله بوجهه مع كونه أعلى منه كما ضرب به النبي ﷺ من المثل بالقمر. ولله المثل الأعلى وبين ان مثل هذا إذا جاز في القمر وهو آية من آيات الله فالخالق اعلى وأعظم



وأما إذا قدر أن العرش ليس كري الشكل بل هو فوق العالم من الجهة التي هي وجهه، وانه فوق الافلاك الكرية كما ان وجه الارض الموضوع للانام فوق نصف الارض الكري، أو غير ذلك من المقادير التي يقدر فيها ان العرش فوق ما سواه وليس كري الشكل، فعلى كل تقدير لا يتوجه إلى الله إلا الى العلو لا الى غير ذلك من الجهات

فقد ظهر انه على كل تقدير لا يجوز أن يكون التوجه إلى الله إلا إلى العلو مع كونه على عرشه مباينا لخلقه، وسواء قدر مع ذلك أنه محيط بالمخلوقات كما يحيط بها إذا كانت في قبضته أو قدر مع ذلك انه فوقها من غير أن يقبضها ويحيط بها فهو على التقديرين يكون فوقها مباينا لها.

فقد تبين انه على هذا التقدير في الخالق وهذا التقدير في العرش لا يلزم شيء من المحذور والتناقض، وهذا يزيل كل شبهة. وانما تنشأ الشبهة من اعتقادين فاسدين (أحدهما) أن يظن ان العرش اذا كان كريا والله فوقه وجب أن يكون الله كريا، ثم يعتقد انه إذا كان كريا فيصح التوجه إلى ما هو كري كالفلك التاسع من جميع الجهات

وكل من هذين الاعتقادين خطأ وضلال فان الله تعالى مع كونه فوق العرش ومع القول بأن العرش كري سواء كان هو التاسع او غيره لا يجوز ان يظن انه مشابه للافلاك في أشكالها، كما لا يجوز ان يظن انه مشابه لها في اقدارها، ولا في صفاتها (سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً)

بل قد تبين انه اعظم وأكبر من ان تكون المخلوقات عنده بمنزلة داخل الفلك في الفلك وانها اصغر عنده من الحمصة والفلفلة ونحو ذلك في يد احدنا، فاذا كانت الحمصة او الفلفلة بل الدرهم والدينار، او الكرة التي يلعب بها الصبيان، ونحو ذلك في يد الانسان او تحته او نحو ذلك، هل يتصور عاقل إذا استشعر علو الانسان على ذلك وإحاطته، هل يكون الانسان كالفلك؟ فالله ـ وله المثل الأعلى ـ اعظم من ان يظن ذلك به، وانما يظنه الذين لم يقدروا الله حق قدره (والارض جميعاً

قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون)

وكذلك اعتقادهم الثاني وهو ان ما كان فلكا فانه يصح التوجه إليه من الجهات الست خطأ باتفاق اهل العقل الذين يعلمون الهيئة وأهل العقل الذين يعلمون ان القصد الجازم يوجب فعل المقصود بحسب الامكان

فقد تبين أن كل واحدة من المقدمتين خطأ في العقل والشرع ، وانه لايجوز أن تتوجه القلوب اليه إلا إلى العلو لا إلى غيره من الجهات على كل تقدير يفرض من التقديرات ، سواء كان العرش هو الفلك التاسع أو غيره ، وسواء كان محيطا بالفلك كري الشكل أو كان فوقه من غير أن يكون كريا ، وسواء كان الخالق سبحانه محيطا بالمخلوقات كما يحيط بها في قبضته أو كان فوقها من جهة العلو منا التي تلي رءوسنا دون الجهة الاخرى ،

فعلى أي تقدير فرض به كان كل من مقدمتي السؤال باطلة وكان الله تعالى إذا دعوناه إنما ندعوه بقصد العلو دون غيره كما فطرنا على ذلك ، وبهذا يظهر الجواب عن السؤال من وجوه متعددة ، والله سبحانه وتعالى أعلم

[يقول محمد رشيد آل رضا صاحب منار الاسلام]

رحم الله شيخ الاسلام ، وجزاه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء ، فوالله انه ما وصل الينا من علم أحد منهم ماوصل الينا من علمه في بيان حقيقة هذا الدين وحقيقة عقائده ، وموافقة العقل السليم وعلومه للنقل الصحيح من كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) بل لا نعرف احدا منهم اوتي مثل ما اوتي من الجمع بين علوم النقل وعلوم العقل بانواعها مع الاستدلال والتحقيق ، دون المحاكاة والتقليد ؛ وغرضه من هذا الكتاب او الفتوى تفنيد مازعمه المتاولون للعرش بانه الفلك التاسع ، من أن ذلك يعارض ماثبت في الكتاب والسنة واقوال ائمة الامة من ان الله تعالى على عرشه فوق سماواته ، ومن أن الفطرة مؤيدة للشريعة في أن جهة العلو قبلة الدعاء ، فهو يثبت هذه الحقيقة على كل احتمال يمكن ان يكون عليه العرش ككونه كريا أو قبة أو غير ذلك ، ولكنه لم يتكلم في حقيقة شكل العرش باكثر مما ورد في كلام الله تعالي وكلام رسوله (ص) لانه من عالم الغيب الذي يجب الايمان بما ورد فيه من النصوص بغير زيادة ولا نقصان ، ولا تاويل ولا تعطيل ، ولا تشبيه لله في علوه واستوائه عليه ولا تمثيل . (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

﴿ تم كتاب العرش ﴾

فهرس

كتاب عرش الرحمن

تم الفهرس

بيان

الخطأ الواقع في هذا الكتاب وصوابه

ص	س	خطأ	صواب
٩	٢٥	أوحيناك	أوحينا اليك
٢٧(١)			
٣٥	٢	الفقر	الفقراء
«	«	ذاته	جل ذاته
٣٧	١	لانه قولك	على قولك
«	١٣	مقرفة	متوقفة
٤٢	١٠	لا نتقاء	لا نتفاء
٥٠	١٣	إعداها	أحدها
٥٣	٥	وهذا ماسبقه	وهذا الكفر ماسبقه
٥٥	٣	الادراك	الادراك ادراك
«	٤	لنسيته	لسبته
٥٦	١	منه	من
٨٠	١٨	لمن ذلك	من ذلك
٨٣	٥،٦	وجد روحهما	وجد لها
٩٢	١٩	الخطأ	الخطأه
٩٥	٧	يذكرون	يهذون

(١) وضع ارقم (٢) بالسطر ١٨ من هذه الصفحة سهواً ومحله سطر ١٩ بعد كلمة. شأنه

تفسير القرآن الحكيم

الشهير بتفسير المنار

كان حكيم الاسلام وموقظ الشرق السيد جمال الدين الافغاني يقول ان القرآن لايزال بكراً لم يفسره أحد . يعني أنهم فسروا ألفاظه العربية لغة ونحوا وبلاغة وأحكامه الفقهية ، ولكن لم يبينوا مافيه من الحكمة العقلية والادبية ، والسياسة الاسلامية ، والقواعد الاجتماعية ، والاصول العمرانية ، والمعارج الروحية ، وما في ذلك من أسباب السعادة الدنيوية والاخروية ، وقد اقتبس هذه العلوم والمعارف عنه مريده الاكبر ووارث حكمته الاشهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وشرع يبثها في تفسيره للقرآن في الجامع الازهر ، فاقتبسها منه مريده السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي ودون ما ألقاه في الازهر منها في خمسة أجزاء من تفسير المنار . وجرى على ذلك في سائر التفسير مع التطبيق على أحوال المسلمين السابقين والمعاصرين والتنبيه على مايجب من العبرة والعمل في ذلك وبيان ماصح من الروايات فيه

فقارىء هذا التفسير يجد فيه جميع أسباب سيادة المسلمين وسعادتهم السابقة وجميع أسباب ضعفهم وذهاب أكثر ممالكهم بعد ذلك وكل مايهمهم من علاج عللهم وأمر مستقبلهم وما يجب عليهم من العمل لاعادة ملكهم وتجديد مجدهم

وقد تم من هذا التفسير عشرة أجزاء ويصدر العاشر في شهر رمضان الآتي سنة ١٣٤٩ — وثمن كل جزء ٢٥ قرشا ولتجار الكتب وطلبة ٢٠ قرشا بخلاف أجرة البريد

مطبوعات مطبعة المنار

وتطلب من مكتبتها بدار المنار — بشارع الانشاء رقم ١٤ بمصر

رقم التليفون ١٥ — ٧٧ بستان

ص

٢٥ تفسير القرآن لكل جزء ورق عادي
٣٠ « « « جيد
٥ تفسير سورة الفاتحة (طبعة رابعة)
٣٠٠٠ مجموعة المنار (٣٠ مجلداً)
٥ ذكرى المولد النبوي
٥ مختصر ذكرى المولد
٥ خلاصة السيرة المحمدية ورق جيد
٤ « « « اصفر
٥ المصلح والمقلد (الوحدة الاسلامية)
٥ شبهات النصارى وحجج الاسلام
٥ الخلافة أو الامامة العظمى
٥ الوهابيون والحجاز
٤ السنة والشيعة
٥ يسر الاسلام وأصول التشريع العام
٣ تفسير سورة العصر (طبعة ثانية)
٣ الصلب والفداء
٥ رسالة التوحيد (« خامسة)
٥ الاسلام والنصرانية ورق عادي
٨ « « « جيد
٢٥ تاريخ الاستاذ الامام (المنشات)
٢٥ « التابين والمراثي
٧٥ حاضر العالم الاسلامي ورق جيد
وعة الحديث النجدية ورق جيد
اية آخر بني سراج وتاريخ الاندلس

ص

٣٠ تفسيرا ابن كثير والبغوي لكل جزء من أجزائه التسعة ورق جيد
٢٥ « « اصفر
٨ فضائل القرآن لابن كثير ورق جيد
٥ « « « اصفر
٥٠ المغني والشرح الكبير لكل جزء ورق جيد
٤٠ « « « أصفر
(وهو ١٢ جزءا)
١٠ سنن الكائنات الاول والثاني الدكتور صدقي
٣ نظرة في كتب العهد الجديد
٢٥ أسرار البلاغة للامام الجرجاني
٢٥ دلائل الاعجاز «
٢٠ انجيل برنابا
٣٦ مدارج السالكين ٣ أجزاء لابن القيم
٤٠ العلم الشامخ مع الذيل (للمقبلي)
٤٠ شرح عقيدة السفاريني (جزآن)
٨ خديجة أم المؤمنين (للسيد الزهراوي)
كتاب الرسائل والمسائل لابن تيمية
١٠ الجزء الاول وفيه ٩ رسائل
٥ « الثاني في أحكام السفر والاقامة
٨ « الثالث في تحقيق مسالة كلام الله تعالى
٨ « الرابع وفيه رسالة : وحدة الوجود ورسالة العرش
١٠ « الخامس وفيه ٨ رسائل مهمة جدا